نزهة الجلساء

في

أشعار النساء

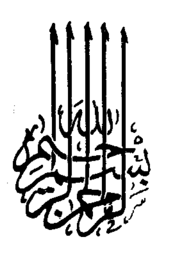
للإمام جلال الدين السيوطي

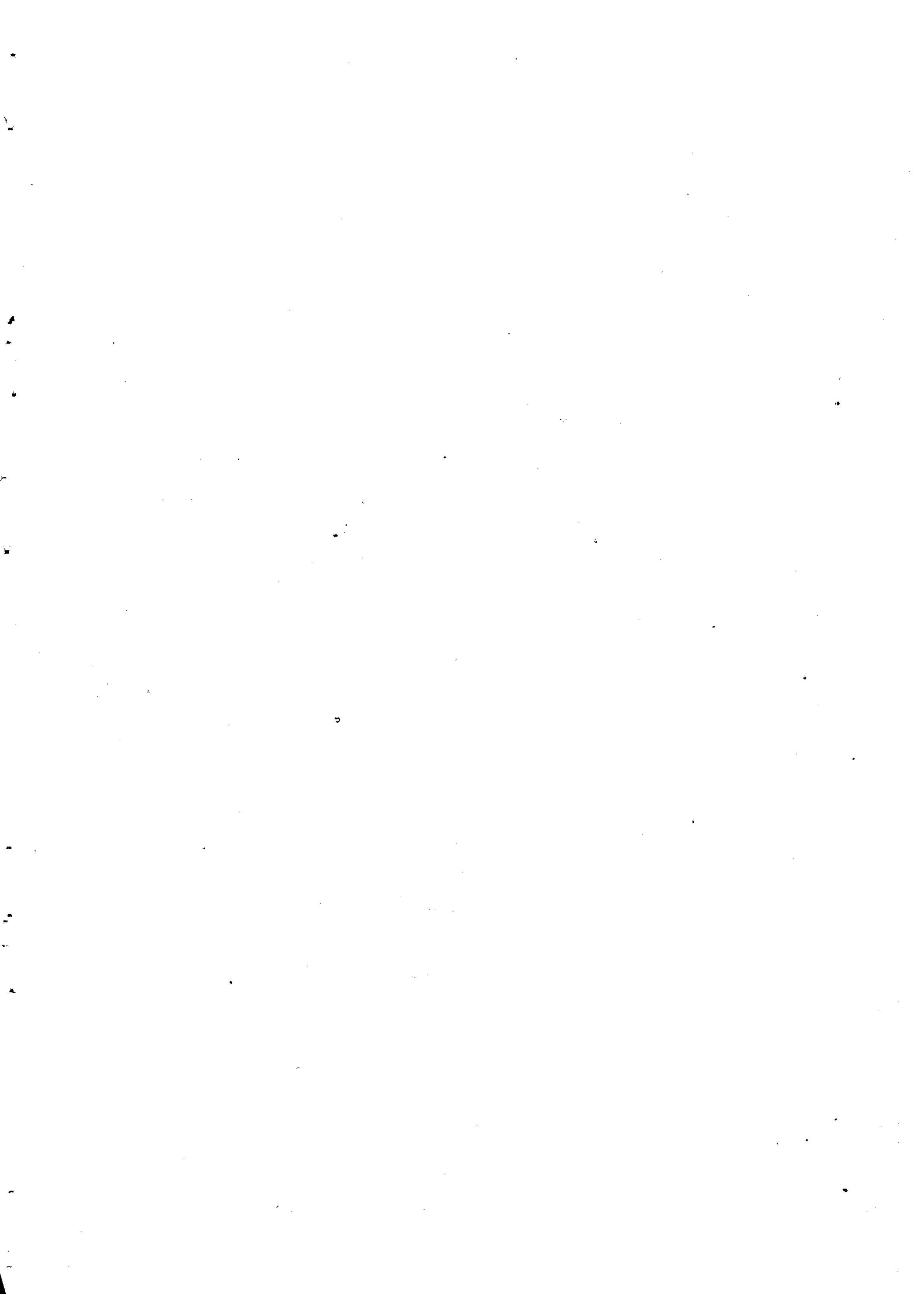
مكتبة القرآن

للطبع والنشر والتوزيع

٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق

القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١





بين يدى الكتـاب

لما حج السيوطى شرب من ماء زمزم ليصل فى الفقه إلى رتبة الشيخ « سراج الدين البلقينى » وفى الحديث إلى رتبة « الحافظ بن حجر » ! .

ويقول السّيوطى :

« لو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها لقدرت على ذلك من فضل الله » .

ولقد كان السيوطى - بحق - شاهدا على عصره : عصر الموسوعات والمجاميع ، ولو لم يقدم لنا عصره إلا مؤلفاته - التى أحصيت فى أحد الفهارس فكانت ٧٢٥ مؤلفا - لكفى !! .

(٧٢٥ مؤلفا) فى عصر كانت بدايته محنة بغداد وسقوط الخلافة على يد المغول وإحراق الكتب وإغراقهـا ، وعلى القـرب من نهايته كانت نهاية الأندلس ، ويلتقى الهاربون والفارون من محاكم التفتيش بالأندلس مع الهاربين والفارين من وجه المغول ببغداد !! حيث تتلقاهم القاهرة !! التى كانت ماتزال تحمل الراية ، فتستعيد بهم المجد الزائل والتراث الذى كاد يندثر أمام تلك الحملات الشرسة على الحضارة الإسلامية فى المشرق والمغرب .

نحن إذن مع علم من أعلام النهضة الأدبية والتاريخية والعلمية فى أحد مؤلفاته : « نزهة الجلساء فى أشعار النساء » ترجم فيه لأربعين شاعرة من شواعر العرب « المولّدات » وعرض لهن نماذج جيدة خالدة من أشعارهن مع ذكر طائفة مستملحة من أخبارهن ، إلى جانب « نوادر بعض الجوارى » .

وكأنما أراد السيوطى أن يجمع لنا فى كتابه ما بقى للمرأة من « عظمة الشاعرية » مما خلدته الأيام ، ولم تستطع محوه الأعوام .

وإذا كان هناك من يقول : « إن شعر النساء الجيد لاتجتمع منه إلا صفحات » فهأنذا أقدم تلك الصفحات التى جمعها السيوطى فأحسن الجمع واختار فوفق فى الاختيار .

وكأنما أراد السيوطى إلى جانب « نزهة الجلساء » أن يفتح أعيننا على لون من الحياة فى المشرق العربى قبل أن تسقط بغداد فى يد المغول ، وعلى لون من الحياة فى المغرب العربى قبل أن تسقط الأندلس ويخرج المسلمون منها بعدما حكموها ما يقرب من ثمانية قرون !! .

إن الشعر مرآة تنعكس على صفحتها الحياة ، والحياة عبر ودروس ، والسعيد من وعظ بغيره !! .

ليس بإنسان ولا عالم   من لايعى التاريخ فى صدره
ومن درى أخبار من قبله   أضاف أعماراً إلى عمره

نعم لقد جمع السيوطى فأحسن الجمع ، واختار فأجاد الاختيار ، اختار نماذج الشواعر من نساء بغداد ، ومن نساء المغرب واستمد « مادته » من :

١ - كتاب تاريخ بغداد لابن النجار .

٢ - وكتاب المغرب فى حُلَى المغرب .

بالإضافة إلى ما ذكره من أن « ابن الطَّرَّاح »[1] ألف كتابا فى « الشواعر اللاتى يستشهد بشعرهن فى العربية » وأنه جاء فى عدة مجلدات رأى منه « السادس » وليس آخر المجلدات .

تُرى ... هل كنا نظفر بمثل هذه الباقة الشعرية الجميلة لو لم يتصدَّ « السيوطى » لجمعها واختيارها ؟! .

هل كنا نتعرف على صور من الحياة فى عصرين طار شأنهما وارتفع... ولكن واأسفاه !! كما طار وقع !!؟ .

الحق أن معايشة « السيوطى » فيما جمعه نزهة ومتعة وعبرة وعظة لمن شاء أن يعتبر !! ، وحسب السيوطى أنه قدم لنا باقة تحمل بصمات عصر ذهبى للأدب فى المشرق والمغرب تألق ثم مضى وذهب .

---

(١) ابن الطرَّاح : فخر الدين بن مظفر بن الطرّاح من رجال العصر المغولى فى العراق . يقول : الشعر الجيد عاش ستين سنة ونيفا (.... - ٦٩٤ هـ) الأعلام للزركلى .

لقد أحصيت التآليف السيوطية - كما قلنا - فكانت (٧٢٥ مؤلفا) أخرجت منها الطباعة نيفا ومائتين ، وماتزال المكتبات عامة وخاصة تختزن منها زهاء المائتين ، وأما الباقى فهو فى حكم المفقود .

وقد نسبت إلى السيوطى مؤلفات هو منها برئ دُسَّت عليه من حساده ، وأضافها إليه بعض الناس لترويجها ... من ذلك :

١ - الفاشوش فى أحكام قراقوش .

٢ - ديوان المرج النضر ، والأرج العطر .

وهو (من نظم « سيوطى » آخر كما جاء فى دائرة المعارف الإسلامية) .

٣ - الرحمة فى الطب والحكمة .

أما كتاب « نزهة الجلساء فى أشعار النساء » فقد نسبه السيوطى لنفسه فى « فهرست النوادر » .

وعزاه إليه « حاجى خليفة » فى كشف الظنون ، « وبروكلمان » فى تاريخ الأدب العربى ، والبغدادى فى هدية العارفين .

وتشير الفهارس إلى وجود أكثر من مخطوط لهذا الكتاب إلى جانب مخطوط « المكتبة التيمورية » المسجل بدار الكتب المصرية تحت رقم : « ٨١٣ شعر » وهو الذى قمنا بتحقيقه .

١ – هناك مخطوط محفوظ بالخزانة العامة بالرباط .

٢ – وهناك مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت « رقم ٤٥٨٦ » .

وإذا كان قد أتيح لهذا الكتاب أن يرى النور ، ويتم طبعه من قبل على ضوء مخطوطات أخرى فإننا نرى أنه قد ضم من الشعر المكشوف مالا يسمح بهْ عصرنا ، إلى جانب أنه مازال فى حاجة إلى تناول أبياته بما يتيح لهواة الشعر معايشتها والتحليق فى أجوائها ، وكانت هذه مهمتنا التى انفردنا بها ولم يعالجها أحد قبلنا .

أليس الشعر فناً ، والفن سمو وارتقاء وصفاء ونقاء !! .

ولقد أجمع النقاد على أنه ليس من الشعر ما سف أو هبط !! .

صحيح أن السابقين لم يهملوا فى جمع التراث وحفظه وحاشاهم أن يقصروا ، ولكن الموسوعات ماتزال تضم ألوانا شتى فيها « العفيف » وفيها « المكشوف » و « ما لا يقال » !!! ؛ مما لا يعد فنا ولا شعراً !! .

البعيد ، مُحلقين فى سماء الخيال مع شقائق الرجال وربات الحجال !! .

وحسبنا ما قمنا به مما تلمسه واضحا بين يديك والله يوفقنا دائما إلى مافيه الخير لأمتنا .....

ويأتى دورنا فى تقديم هذا التراث خاليا من الشوائب سهلا ميسرا للأجيال ينعش نفوسهم ، ويصقل مواهبهم ، وينمى هوايتهم ، ويشبع نهمهم إلى العلم والأدب .

لقد جمع كتاب « نزهة الجلساء فى أشعار النساء » أغراضا شعرية شتى ، فعندما تقلب صفحاته – على الرغم من قلتها – تجد الحب ولوعته ، والرثاء وحسرته ، والهجاء ولذعته والوصف وبهجته إلى جانب الفخر وعزته ، والاعتذار وذلته !! لكنه مازال يضم من الشعر ما يجرح الحياء ويخدش الشعور مما تعافه الفطرة السليمة !! .

ولقد وقفنا حائرين بين ما توجبه « الأمانة العلمية » وتقتضيه ، وبين ما التزمنا به فى خطنا الذين نسير عليه من أمانة الكلمة التى ننشرها وطهرها وعفتها مراقبين الله فيها .

وكان علينا أن نهمل بعض الكلمات (........)، ونترك مكانها مليئا بنقط تدل عليها ، وأشرنا إلى ذلك فى موضعه كما تقضى بذلك الأمانة العلمية ، ومن حسن الحظ أنها جاءت فى مقطوعات لاتكاد تجاوز أصابع اليد الواحدة .

ولقد وقفنا بين يدى الأبيات نلقى الضوء عليها بما يتيح للقارئ المتعة فى نزهته ، والسعادة فى رحلته مع السيوطى ، وقمنا بتوضيح الغامض ، وتقريب

الإمام السُّيوطى

(٨٤٩ - ٩١١ هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م)

هو عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى ، جلال الدين : إمام حافظ مؤرخ أديب .

له نحو ٧٢٥ مصنفاً ، منها الكتاب الكبير ، والرسالة الصغيرة نشأ فى القاهرة يتيما « مات والده وعمره خمس سنوات » ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ، وخلا بنفسه فى روضة المقياس على النيل منزويا عن أصحابه جميعا كأنه لا يعرفهم ، فألف أكثر كتبه .

وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها ، وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه ، وأرسل إليه هدايا فردها ، وبقى على ذلك إلى أن مات .

وجاء فى كتاب « المنح البادية - خ » أنه كان يلقب بابن الكتب ، لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب ففاجأها المخاض فولدته بين الكتب .

عـــصر الســـــيوطى :

ما بين سقوط بغداد فى أيدى المغول سنة ٦٥٦ هـ ودخول العثمانيين مصر سنة ٩٢٣ هـ عصر كامل هو العصر المغولى الذى ساد فيه « المغول » الرقعة العربية من حدود الهند شرقا إلى حدود سوريا غربا فترة تجاوز القرنين ونصف القرن بما يقرب من ستة عشر عاما .

ويشاء الله – سبحانه – أن تظل مصر بمنجاة من شرهم لتحيا فى ظل المماليك .

ويشاء القدر أيضا أن تحل بالمسلمين محنة أخرى قبيل نهاية هذا العصر ففى سنة ٨٩٧ هـ أخرج المسلمون من أسبانيا !! .

وكانت الوصمة الفاضحة إحراق المكتبات والإتيان على التراث الإسلامى ! ، وكما فعل جنكيزخان فعل الإسبان ؛ فلقد أتوا على الكتب إحراقا وإبادة ، وآخر ما كان لهم فى ذلك ما فعله الكردينال « زيمتس » آخر القرن التاسع بمكتبة غرناطة حين حرم الوجود الثقافى من نحو ثمانين ألف مجلد !! .

وتصبح القاهرة ملتقى الناس من جميع الأجناس وملجأ الأدباء والعلماء يفدون إليها من كل فج عميق ... من الشرق ومن الغرب .

وتتجلى ظواهر ثلاث أمام هذه المحنة :

● الظاهرة الأولى ذلك الوعى التاريخى الذى شغل أصحابه بتدوين ما كادت الأحداث تذهب به !! يحمل رايته :

« ابن خلكان » فى وفيات الأعيان . (٦٨١ هـ) .

و « ابن أبى أصيبعة » فى طبقات الأطباء . (٦٦٨ هـ) .

و « صلاح الدين الصفدى » فى الوافى بالوفيات . (٧٦٤ هـ) .

و « أبو الفدا » فى المختصر فى أخبار البشر . (٧٣٢ هـ) .

و « الذهبى » فى تاريخ الإسلام . (٧٤٨ هـ) .

و « ابن شاكر الكتبى » فى فوات الوفيات . (٧٥٤ هـ) .

و « ابن حجر العسقلانى » فى الدرر الكامنة . (٨٥٢ هـ) .

و « المقريزى » فى الخطط . (٨٤٥ هـ) .

● أما الظاهرة الثانية فتتجلى فى ذلك الوعى الذى يتصل بالتاريخ وأعنى به النقد الأدبى ، وحمل رايته .

« ابن الطقطقى » فى كتابه « الفخرى » . (٧٠٢ هـ) .

« ابن خلدون » فى مقدمته . (٨٠٨ هـ) .

● أما الظاهرة الثالثة فتتجلى فى لهفة المؤلفين وتنافسهم على الجمع الموسوعى حتى أصبح هذا « العصر المغولى » يسمى بحق « عصر الموسوعات وعصر المجاميع » .

وكما خافوا على التاريخ خافوا على اللغة فأكثروا من المعاجم ، ولاعجب فقد أحس علماء هذا العصر – بين عشية وضحاها – انطواء صفحات ، وذهاب تاريخ وانمحاء معالم ، ويحمل لواء هذه النهضة اللغوية :

ابن منظور صاحب لسان العرب . (٧١١ هـ) .

والنويرى صاحب نهاية الأرب . (٧٣٢ هـ) .

وابن فضل الله العمرى صاحب مسالك الأبصار (٧٤٨ هـ) .

والفيروز آبادى صاحب القاموس . (٨١٧ هـ)

والقلقشندى صاحب صبح الأعش . (٨٢١ هـ)

وفى ظل هذا العصر نشأ جلال الدين السيوطى وعاش ومات (٨٤٩ هـ – ٩١١ هـ) .. عاش فى القرن التاسع الهجرى وأدرك أوائل القرن العاشر .

عاش ليكون شاهدا على عصره عصر الموسوعات والمجاميع ، ولو لم يقدم لنا عصر إلا مؤلفات السيوطى لكفاه فخرا على مر العصور والدهور ، ولا عجب فقد كان كما قال النقاد : دار نشر وحده .

السيوطى شاعراً :

لقد كان أديبا مطّلعا نلمس فى أسلوبه حساسية الشاعر ... وقد كان أقرب شبها بابن حجر العسقلانى حيث وجهتهما حياتهما العلمية بعيدا عن الأدب الذى كان مزاجا لنفسيهما ولكنهما كانا يعاودانه الفينة بعد الفينة .

وتتراءى على شعرهما المسحة العلمية ، وإن كان ابن حجر أرق وأغزل من السيوطى .

ونظم السيوطى فى الإخوانيات والرثاء والمدح النبوى ووصف الأحداث العامة غير أنه ذو باع طويل فى نظم العلوم والفنون والفوائد العلمية والأحكام الشرعية .

ومما تتجلى فيه قوة الإيمان والثقة بالله تعالى وحده قوله :

أيها السائل قوما مالهم فى الخير مذهب
اترك الناس جميعا وإلى ربك فارغب

ويقول فى رجاء عفو الله وابتغاء رحمته :

لِمَ لاتُرَجّى العفوَ من ربنا وكيف لاتطمعُ فى حِلْمه؟
فى الصحيحين أتى أنه بعبده أرحمُ من أُمِّه

وله ديوان شعر . وقد ذكره حاجى خليفة .

النســـاء والشـــعر !! :

يوم أن طلعت علينا « عائشة التيمورية » بديوانها الذى أسمته « حلية الطراز » رحنا نقلب صفحاته وإذا به ١٩٣٦ بيتا منها ٥٥٤ فى باب الغزل ، والباقى فى أغراض أخرى .

وراح أحد النقاد يتساءل :

هل يحق للمرأة أن تقول شعرا فى الغزل ؟!! .

وإذا كان لها ذلك ففيمن تتغزل ؟ أتتغزل فى امرأة مثلها ؟ أم تتغزل فى رجل ؟ .

ثم راح ذلك الكاتب يقول :

« الواقع أننا إذا نظرنا إلى ماوصل إلينا من آثار شاعرات العرب لا نجد لهن شيئا فى الغزل ؛ فمما لاشك فيه أن عائشة انفردت دون الشاعرات العربيات بما نظمته فى هذا الباب » .

ولا نملك الآن بعد أن عثرنا على مخطوط السيوطى :

« نزهة الجلساء فى أشعار النساء » إلا أن نقول لهذا الكاتب : تعال إلى النزهة لترى فيمن تتغزل

النساء ؟! وماذا يقلن ؟ .

أليس ذلك لونا جديداً يعرضه السيوطى ؟!! .

ويقول الأستاذ العقاد فى هذه المناسبة :

- إن الاستعداد للشعر نادر !! .
- وإنه بين النساء أندر !! .

فالمرأة قد تحسن كتابة القصص ، وقد تحسن التمثيل ، وقد تحسن الرقص الفنى من ضروب الفنون الجميلة ، ولكنها لا تحسن الشعر ، ولَمَّا يشتمل تاريخ الدنيا كله بعد على شاعرة عظيمة ، لأن الأنوثة – من حيث هى أنوثة – ليست معبرة عن عواطفها ، ولا هى غلابة تستولى على الشخصية الأخرى التى تقابلها ، بل هى أدنى إلى كتمان العاطفة وإخفائها ، وأدنى إلى تسليم وجودها لمن يستولى عليه من زوج أو حبيب ، ومتى فقدت « الشخصية » صدق التعبير ، وصدق الرغبة فى التوسع والامتداد ، واشتمال الكائنات كلها ، فالذى يبقى لها من عظمة الشاعرية قليل !! .

ونحن نقول له : وهذا هو الذى بقى لها من عظمة الشاعرية يتراءى لنا فى نزهة الجلساء !!

نبوغ المرأة فى الرثاء !!

ثم يقول : ولا ينفى هذا أن الأنثى قد تعبر عن الحزن ؛ لأن الحزن لايناقض استعداد الشخصية

للتسليم ، والاستناد إلى غيرها ، ولهذا كانت الشاعرة الكبرى التى نبغت فى العربية باكية راثية وهى « الخنساء » .

ونقول لأستاذنا :

لقد جمعت نزهة الجلساء ألوانا وفنونا شعرية ففيها المدح ، وفيها الهجاء ، وفيها الوصف ، وفيها الرثاء ، وفيها الاعتذار ، وفيها الغزل ، وفيها مايمثل الشعر الغنائى بصفة عامة ، فى المشرق والمغرب من المحدثات دون المتقدمات ويقول أستاذنا :

لم يكن الشواعر المعروفات من الجوارى والعقائل فى الدولتين العباسية أو الأندلسية إلا مقلدات مرددات لا تجتمع من شعرهن الجيد صفحات .

وقد تعبر الأنثى عن الغزل ، وتبدع فيه كما أبدعت « سافو » أشعر الشواعر الغزلات ، ولكنها لم تكن معبرة عن طبيعة الأنثى كما يعلم القراء !! .

ونقول له :

وهذه هى الصفحات التى اجتمعت من شعرهن الجيد يقدمها لنا الإمام السيوطى لتكون :

« نزهة الجلساء فى أشعار النساء » .

وحسبهن أنهن عايشن التجربة فرحن يعبرن عنها فى صدق وصفاء .

* * *

منهـج التحقيـق

يتضح من العرض السابق أننا اعتمدنا على المخطوط الذى وجدناه « بالمكتبة التيمورية برقم ٨١٣ شعر » بدار الكتب المصرية .

وهو يقع فى ٤٩ صفحة كتبت بخط نسخى جميل حديث ويظهر أن الكاتب كان يُمْلى عليه من الأصل فأخذ يكتب كما سمع لا كما يرى ، ومن هنا وقع التحريف والتصحيف إلى جانب الاختلاف فى طريقة كتابة بعض الكلمات ، وعدم رعاية علامات الترقيم ، أو إحسان العرض للمادة المكتوبة .

ولقد أشار السيوطى إلى بعض المراجع التى أخذ منها واعتمد عليها ، فرجعنا إلى ماتيسر منها ، واستعنا فى توثيق النصوص بالمراجع الآتية :

١ - كتاب المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها لعبدالله عفيفى .
٢ - أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام لعمر رضا كحالة .
٣ - البيان والتبيين للجاحظ .
٤ - زهر الآدب للحصرى .
٥ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادى .

وقمنا بضبط الأبيات ، وشرح ما غمض من الكلمات والعبارات والتعليق عليها بما يتيح المتعة والنزهة فى رياض الشعر !! ، وقد راعينا علامات الترقيم والرسم الإملائى الحديث ، وأفردنا كل شاعرة عن غيرها من الشواعر رعاية للجانب الفنى .

ولقد تركنا مكان الكلمات أو العبارات التى تجرح المشاعر نقطا تحفظ لها مكانها فى إطار المقطوعة أو البيت رعاية للخط الذى نسير عليه ونرعى الله فيه !! دون افتئات على المخطوطة وبهذا نكون قد يسرنا المخطوطة التيمورية للاطلاع والمتعة كما أراد مؤلفها فجاءت بحق : « نزهة الجلساء فى أشعار النساء » عرضا وإخراجا وتأليفا وتبويبا ، وضبطا وتعليقا .

والله أعلم بالصواب .

عبداللطيف عاشـور

هذا كتاب

نزهة الجلساء في اشعار النساء

تأليف العلامة جلال الدين ابو

الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر

السيوطي الشافعي المتوفي

بمصر سنة ٩١١

احدى عشر بعد

التسعمائة

هجرية

م

الصفحة الأولى من المخطوطة

اذا لمتها قلت

اليس رشد بدا ان تحب ولا يحبك من تحبه

فتقول هي

ويصد عنك بوجهه وتلح انت فلا تغبه

والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

مقدمـــة المؤلـــف

بسم الله الرحمن الرحيم

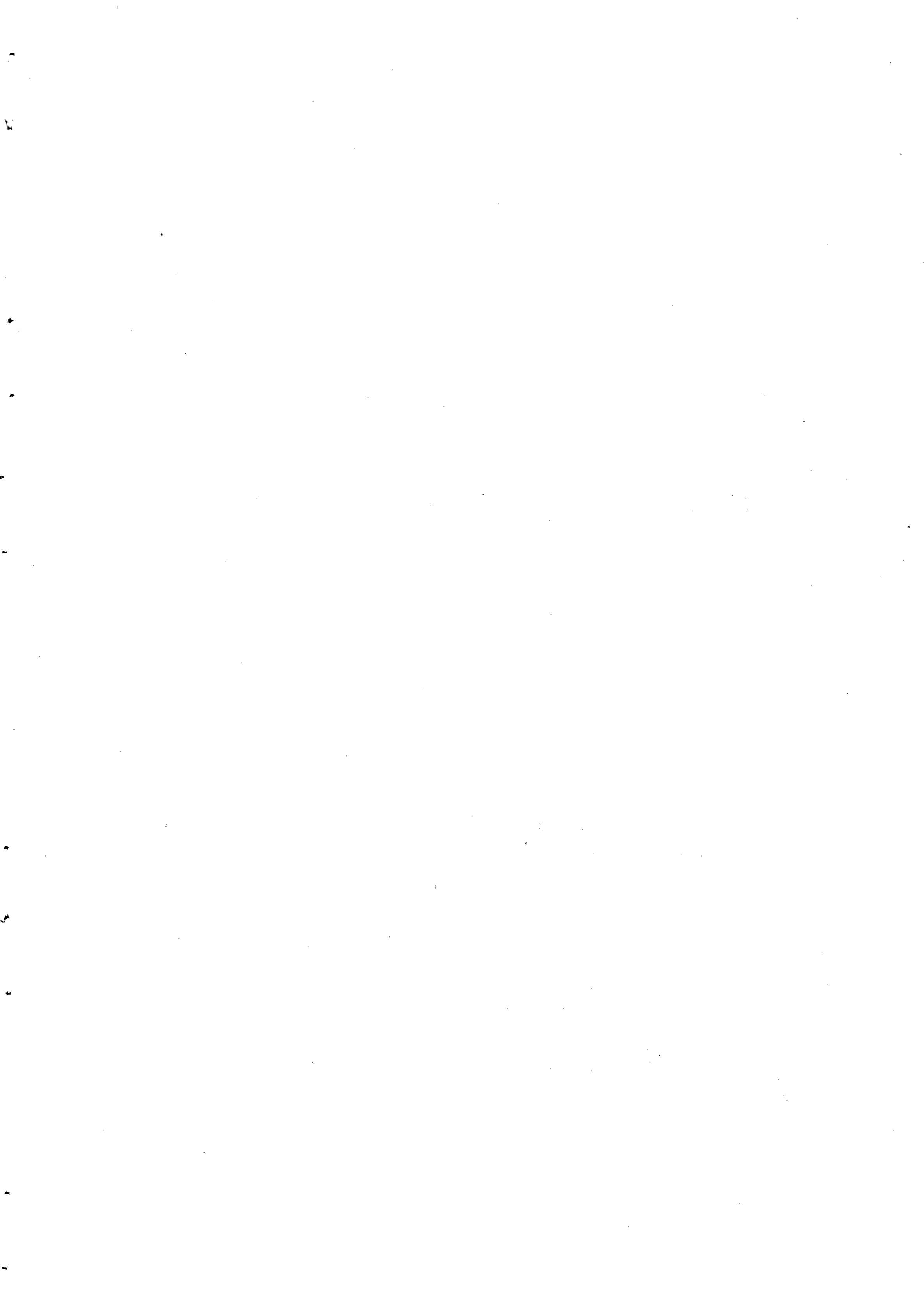
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

هذا جزء لطيف فى النساء الشاعرات « المحْدَثات » - دون « المتقدمات » من العرب العرباء من « الجاهليات » و « الصحابيات » ، و « المخضرمات » ؛ فإن أولئك لا يُحْصَيْن كثرة ؛ بحيث أن « ابن الطَّراح »[1] جمع كتابا فى « أخبار النساء الشواعر » من العربيات اللاتى يستشهد بشعرهن فى العربية فجاء فى عدة مجلدات ، رأيت منه المجلد السادس ، وليس بآخره !! . .

وقد سميت هذا الجزء :

« نزهة الجلساء فى أشعار النساء »

(١) فى مخطوطتنا : بحيث أن الطِّرِمّاح ، والصحيح ما أثبتناه .



[١] أُمُّ الكِـــرام

بنت المعتصم بالله ، أبى يحيى محمد بن معن بن أبى يحيى بن صمادح التجيبى .

قال الأديب أبوالحسن على بن موسى بن سعيد فى المغرب :

كانت تنظم الشعر ، وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف « بالسَّمَّار » ، وعملت فيه الموشحات .

ومن شعرها فيه :

يامَعْشَرَ الناسِ ألَا فاعْجَبُوا   مِمَّا جنَتْهُ لوعةُ الحُبِّ[١]

لَوْلاهُ لم يُنْزَلْ بِبَدْرِ الدُّجى   من أُفْقِهِ العُلْوِىِّ للتُّرْبِ

حَسْبِى بمن أهْواهُ لَوْ أنَّهُ   فارقَنِـى تابَعَـهُ قَلْبِـــى

ولها إخوة : ثلاثة شعراء :

- الواثق عز الدولة أبو محمد عبدالله .
- ورفيع الدولة الحاجب أبوزكريا يحيى .
- وأبو جعفر .... أولاد المعتصم بن صمادح .

---

(١)تشرك الناس معها فى التعجب مما فعل الحب بها ، وتلتمس لنفسها المعذرة من لوعة الحب ، فمن أجل الحب يُنْزَل بالقمر من عليائه إلى التراب .

وتعزى نفسها – عن الفراق – بمتابعة قلبها له فهى معه فى لقاء دائم .

وأبوهم ملك المَرِيَّة[1] وأعمالها – شاعر أيضا من أهل المائة الخامسة .

[٢] أُمّ العَلاء بنت يوسُف الحجارية[2]

أم العَلاء بنتُ يوسُفَ بن حزر المجلسيّ الحجارية ، ذكرها صاحب المغرب ، وقال :

من أهل المائة الخامسة ، ومن شعرها :

كلُّ مايَصْدُر عنكم حسنُ ... وبِعَلْياكم تحلّى الزَّمنُ

تعطِفُ العينُ على منظِركم ... وبذكراكم تَلَـذُّ الأذُنُ

ومَن يَعِشْ دُونكُمْ فى عُمْرِهِ ... فهو فى نَيْلِ الأمَانى يُغْبَنُ[3]

---

(١) المَرِيَّة كغنية إحدى مدن الأندلس .

(٢) نسبة إلى وادى الحجارة من أعمال الأندلس .
وفى النسخة التيمورية العلا مقصوراً لا ممدوداً كما ذكرت فى أعلام النساء .

(٣) يغبن : الغبن فى البيع أو الشراء غلبة وخداع ، ونقص فى الثمن وغيره .
وهى ترى أن العيش لايتم ولايكمل إلا بالمحبوب وإذا عدنا إلى الأبيات وجدناها تقول :

إن أفعاله وتصرفاته حسنة كلها ولا عجب فحسن فى كل عين من تودّ . إن الزمن يتحلى بما هو عليه من مجد وشرف ، والعين تميل عليه ، وذكراه عطره تلذها الأذن ، فكيف يكمل العيش بدونه ؟ لاشك أن الأيام التى تمر دون لقائه ضائعة .. ومغبون مغبون من حرم ذاك اللقاء .

وعشقها رجل أشيب فكتبت إليه :

يا صُبْحُ لاتبد[1] إلى جُنْح والليلُ لا يَبْقَى مع الصُّبْح
الشيبُ لا يُخَدَعُ فيه الصِّبا بحيلةٍ فاسْمَعْ إلى نُصْحى
فلاتكن أجهلَ من فى الورى تبيتُ فى الجهل كما تُضحِى

ولهـا :

افهم مطارحَ أحوالى وماحَكَمتْ به الشواهِدُ واعذُرْنى ولاتَلُم[2]
ولاتَكِلْنى إلى عذرٍ أُبَيِّنُهُ شرُّ المعاذير مايحتاج لِلْكَلم
وكل ماقد جئته من زلَّةٍ فبما أصبحت فى ثقةٍ من ذلك الكرم

(١) الجُنح بضم الجيم من الليل : جانب منه ... إنها ترى فى الشيب معركة النهار مع الليل ، حيث يزول سواد الشعر ليحل محله بياض الشيب وتنصح له ألا يتصابى محاولا إخفاء شيبه بصورة أو بأخرى فتلك حيل يدركها الصبى ، وجاهل من يظن أنه يمكن أن يخدع غيره ... إنه يبيت فى الجهل كما يمسى . (وفى النسخة التيمورية ياصبح يأتيه) .

(٢) وهنا تطلب إلى المحب أن يلتمس لها العذر دون أن يسائلها ، أو يطلب منها تفسيرا ، فشر المعاذير ما يحتاج للكلم ثم تختم بأن طمعها فى كرمه وتسامحه ، هو من وراء ماقد يظنه من زلة أو خطأ . أو ما جاءت به من زلة أو خطأ . وقد روى البيت الأخير : وكل ما قد خلته من زلة .

وروى « دالة » بدلا من زلة من الدلال والتدلل .

[٣] أمة العزيز الشريفة الفاضلة

قال الحافظ أبوالخطاب[١] بن دحية فى كتاب « المطرب من أشعار المغرب » :

أنشدتنى أختُ جَدِّى الشريفةُ الفاضلة ، أمةُ العزيز بن موسى بن عبدالله بن أبى الحسن أبى جعفر الزكىّ بن الهادى بن محمد بن على الرضى ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق بن محمد بن[٢] على[٣] بن الحسين بن على بن أبى طالب :

لِحاظُكُم تجرحنا فى الحشا ... ولحظنا يجرحكم فى الخدود[٤]

جُرح بجُرحٍ فاجعلوا ذا بذا ... فما الذى أوجب هذا الصدود؟

---

(١) سقط من مخطوطتنا « عمرو » أبوالخطاب عمرو بن دحية .

(٢) ابن محمد الباقر .

(٣) ابن على زين العابدين .

(٤) يشكو المحبون كلهم الفرقة والبعد والتمنع والصدود ... ويبحثون عن السبب ، لعلهم يعملون على إزالته ؛ ليعود من جديد ذلك التقارب والتدانى .

والشاعرة هنا قد بحثت ولكنها لم تهتد إلى مايوجب هذا الصدود وتبحث ثانية فتقول : إن نظرات المحب كما تركت أثرها فى أعماقها ، فأوجعتها ، كذلك نظراتها قد تركت أثرها فى خديه فكلاهما أصاب الآخر ، فليس أحدهما معتديا ولا جانيا ففيم الصدود إذن ؟ .

ولعل ماجاء فى الهامش بخط مخالف :

[لحاظنا تجرحكم فى الحشا ... ولحظكم يجرحنا فى الخدود]

يكون ملائمــاً .

[٤] أم السعـــد القرطبيـــــة

أم السعد بنت عصام بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يحيى الحِمْيرى من أهل قرطبة .

وتعرف « بسعدونه » .. قال : « البدر النابلسى » فى « التذييل » :

لها رواية عن أبيها وجدها وغيرهما من أهل بيتها . أنشدت لنفسها فى « تمثال » نعل النبى ﷺ تكملة لقول من قال :

سألثم « التمثال » إذا لم أجد للثم نَعْلِ المصطفى من سبيل !!

فقالت :

لعلنى أحظى بتقبيلـــه فى جنة الفردوس أسنى مقيل
فى ظل « طوبى » ساكناً آمناً أسقى بأكواسٍ من السلسبيل
وأمسح القلب به علّهْ يُسكِّن ما جاش به من غليل
فطالما استَشفى بأطلال من يهواه أهلُ الحب من كل جيل[1]

(١) ولأم السعد بنت عصام الحميرية القرطبية :

آخِ الرجالَ من الأبا عِدِ ، والأقاربَ لاتُقارِبْ
إن الأقــاربَ كالعقــا رب ، أو أشدَّ من العقارب

ونحن لا نوافق الشاعرة فى تلك التكملة ، ولا الشاعر الذى بدأ ، فحب النبى ﷺ إنما يتجلى فى اتباع سنته ، والعمل بشريعته ، والإسلام لا يرضى لمسلم أن يقبل نعلا أو تمثالا لنعل فهذا إفراط فى الحب : ﴿ ولله العزة ولرسوله ﴾ =

= وقد وجدنا رسما لتمثال نعل النبى ﷺ فى باب صفة نعل النبى بكتاب « زادالمسلم مما اتفق عليه البخارى ومسلم » وقد تبارى شعراء الأندلس فى وصفه .

وقد جاء فى مخطوطتنا « بأكياس » بدلا من أكواس جمع كأس فى البيت الثانى .

وجاء فى البيت الثالث : وأمسح القلب به « غُلّة » بدلا من « عَلّهُ » أى لَعَلّه : يُسْكِنِ مابها من غليل .

وجاء البيت الرابع :

فطالما استسقى بأطلال ...... ولعلها تشير إلى الوقوف على الأطلال والدعاء بالسقيا ، وما أثبتناه يتفق مع المصادر التى أشرنا إليها .

جاء فى زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ج ٥ ، ص ٦٦ ، ط دار الفكر تعليقا على الحديث رقم ١٠٩٥ . كان النبى ﷺ يصلى فى نعليه ... ما يأتى :

واعلم أنه قد ورد أن طول نعله ﷺ شبر وإصبعان وعرضهما مما يلى الكعبين سبع أصابع وبطن القدم خمس ، وفوقها ست ورأسها محدد وعرض ما بين القبالين إصبعان .

قال الحافظ الكبير زين الدين العراقى فى ألفية السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام :

ونعلـه الكريـة المصـونة طوبى لمن مس بها جبينـه

وللإمام أبى العباس أحمد المقرى صاحب نفح الطيب وإضاءة الدجنة وغيرها تأليف نفيس فى شأن النعل الشريفة أجاد فيه وأفاد . وقد طبع بحيدر آباد . ولشيخنا بالإجازة العارف بالله تعالى خادم الجناب النبوى وحسانه الثابت وارث حسان بن ثابت الشيخ يوسف النبهانى فى مثال النعل أبيات لطيفة ذكرها بداخل مثال النعل الشريفة منها :

مثال حكى نعلا لأشرف مرسل تمنَّتْ مقامَ التُّرب منه الفراقد
ضرائرها السبع السموات كلها غيارى وتيجان الملوك حواسد

(الفراقد : جمع فرقد : النجم . فالنجوم تتمنى أن تكون موطئا لنعله والسموات السبع ضرائر غيارى من الأرض التى تشرفت به وتيجان الملوك فى حالة حسد للأرض ... والكل يريد أن ينال الشرف !! .

[٥] بدر التَّمام بنت الحسين[١]

بدر التمام بنت الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الدباس .

يُعْرف والدها بالبارع ، ذكرها الحافظ محب الدين بن النجار فى تاريخ بغداذ وقال :

كانت شاعرة رقيقة الشعر محسنة .

ثم قال : أنبأنا يوسف بن المبارك بن كامل بن أبى طالب الخفاف قال :

أنشدنى عبد الباقى بن عبدالواحد المقرى قال :

أنشدتنى بدر التمام بنت عبدالله بن الدباس لنفسها :

يبْدُو وعيدُك قبْل وعْدِك ويحول منْعُك دون رِفْدِك[٢]
ويزورُ طيفُك فى الكــرى فبحمد طيفك لا بحمــدك
لِمَ لا تَرِقّ لذُلّ عبــدِك وخُضُـوعِه فتَفى بعهدِك ؟!

وبه إلى عبدالباقى قال :

---

(١) قال فى أعلام النساء : بدر التمام بنت الحسن ويعرف والدها بالبارع .

(٢) شتانٍ ما بين الوعد والوعيد ... وبين المنع والعطاء ، وبين الرؤيا والرؤية ، والشاعرة هنا لاترى من محبوبها إلا وعيدا يسبق الوعد ، ومنعاً يحول دون الرِّفد والعطاء ويضن عليها بلقاء فلا ترى طيفه إلا مناماً مما يجعلها تحن لرؤيته فى ذلة وخضوع ، فلم لايرق ذاك المحبوب كى يتحقق الوفاء بالعهد ؟! .

أنشدتنى بدر التمام لنفسها :

جمالُك بينَ الوَرَى عاذِرى وذكرُك فى ليلتى سامرى[1]
فلا صَحَّ وُدُّكَ إن سَلَوْتُ ولا جال حبُّك فى خاطـرى
أمَا لانَ قَلبُك يا هاجـرى ولا رق للمُدْنَفِ السـاهِرِ ؟!!

[٦] بوران بنت الحسن بن سهل

بوران بنت الحسن[2] بن سهل وزير المأمون. ذكر الصولى أن اسمها « خديجة » وتعرف « ببوران » .

تزوجها المأمون ، وأخبارها فى ذلك مشهورة .

روى ابن النجار بسنده عن أبى الفضل الربعى عن أبيه قال : لما تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهيل ، أراد أن يفْتَضَّها ، فلما

(١) تخاطب المحبوب فتقول :

إن جماله الفائق المشهود له بين الناس ، يرفع عنى اللوم والذنب ويجعلنى مقبولة العذر إن أنا هِمْتُ بهذا الجمال .

وليس لى فى ليلى الطويل ما يسلبنى إلا ذكرك ولست أسلوك أبداً ، فمن يسلو وينسى ليس جديرا بالحب ، وليس قلبه أهلا لمعايشة المحبوب والسعادة بحبه .

ومن أجل هذا كله تعاتبه فى أمل ورجاء أن يلين قلبه ويرق للمدنَف الذى أُدنفه الحب وأمرضه ويقضى ليله ساهراً !! .

أما قوله قبيل الأبيات : وبه إلى عبدالباق إلخ فالمقصود : أى بالسند السابق الذى روى الخبر وهو الحافظ محب الدين النجار فى تاريخ بغداد .

(٢) فى مخطوطتنا بنت الحسين وما أثبتناه هو الصواب .

كاد حاضت ، فقالت :

﴿ أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه ﴾[1] .

ففهم المأمون قولها ، فوثب عنها !! .

قال ابن النجار ، وذكر الجهشيارى أن أبا عبدالله بن حمدون ذكر أن بوران بنت الحسين بن سهل قالت ترثى المأمون :

أسْعِدانى[2] على البُكا مغْلِنينَا صرت بعد الإمام لِلْهَمِّ قَيْنا
كنت أسطو على الزمان فلمَّا مات صار الزمانُ يَسْطُو علينَا

ولدت بوران ليلة الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة اثنين وتسعين ومائة ، وماتت ببغداد أول يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائتين .

[٧] تقيــة أم علــى

« تقية أم على » بنت أبى الفرج غيث بن على بن عبدالسلام بن محمد بن عبدالفرج السلمى الصورى[3] قال الصلاح الصفدى :

---

(١) اقتباس جميل : وتورية رائعة فى مثل هذا الموضع . من الآية الأولى من سورة النحل .

(٢) أسعدانى : ساعدانى .. والعربى كان يتخيل من يوجه إليه الحديث شخصا أو أثنين . وهى هنا تطلب إلى عينيها اللتين تجمدتا من شدة الحزن أن تسعفاها بالبكاء على من كانت به فى قوة ومنعة من الزمان فأصبحت هدفاً له بعد موته !! .

(٣) أصلها من بلدة صور .

كانت فاضلة ، ولها شعر وقصائد ومقاطيع ذكرها السلفى فى بعض تعاليقه ، وأثنى عليها وقال :

عثرت مرة فانجرحت إخمصاى ، فشقت وليدةٌ فى الدار خرقة من خمارها ، وعصبته ، فأنشدت « تقية » المذكورة فى الحال لنفسها :

لوْ وجدتُ السبيل جُدْت بَخدِّى عِوضاً عن خِمارِ تلك الوليدة!
كيف لى أن أُقَبِّل اليومَ رِجْلاً سلكت–دهرها–الطريقَ الحميدة[1]

وذكر الحافظ زكى الدين المنذرىُّ أن « تقية » المذكورة نظمت قصيدة تمدح الملك المظفر تقى الدين عمر بن أخى السلطان صلاح الدين بن أيوب ، وكانت القصيدة « خمرية »[2] ووصفت آلة المجلس ، وما يتعلق بالخمر ، فلما وقف عليها قال : الشيخة تعرف هذه الأحوال من صباها ! ، فبلغها ذلك ، فنظمْت قصيدة أخرى حربية ، ووصفت الحرب ، وما يتعلق بها أحسن صفة .

ثم سيَّرت إليه تقول : علمى بذلك كعلمك بهذا[3]!! .

ولدت بدمشق سنة خمس وخمسمائة ، وماتت سنة سبع وسبعين وخمسائة

(١) لا شك أنها هنا بلغت القمة فى تمجيد السلوك الحميد وتقدير أهل الفضل ، وما ظنك بمن يُجَادُ له بالخد ، وتبحث الحسناوات عن سبيل لتقبيل رجله ؟! .

(٢) فيها ذكر الخمر ووصف مجلسها .

(٣) كان قصدها تبرئة ساحتها .

ومن شعرها :

نأيْتُ ومَاقَلْبِى عَنِ النأْىِ بالراضى ... فلاتَغْتَرِرْ منى بصَدِّى وإعْراضى[1]
وإنى لمشتاق إليهم متيَّمٌ ... وقد طعنوا قلبى بأسمر عَرَّاضِ
إذا ما تذكرت الشام وأهلَه ... بكيت دماً حزنا على الزمن الماضى
ومُذْ غِبتُ عن وادى دمشق كأننى ... يُقَرَّضُ قلبى كُلَّ يومٍ بمقراضِ
أَبيتُ أَراعى النَّجْمَ والنجم راكدٌ ... وقد حجبوا عن مُقْلَتَىَّ طيبَ إغماضِ
فهل طارقٌ منهم يُلِمُّ بناظرى[2] ... فإن لقاءَ الطَّيْفِ أكثرُ أغراضى
لعلَّ الليالى أن تجرِّدَ صارماً ... على البين أو يَقْضى لها حكمُ قاضى

(١) لقد أظهرت من التنائى والتباعد عن المحب ما يخالف دخيلتها ، فلا ينبغى أن نغتر بهذا الصد وذلك الإعراض .

وقد بلغ منها الشوق مبلغه وإنها لمتيمة بمن تهوى ، وكيف لا وقلبها جريح . وإنها لتبكى دماً حين تذكر الشام وأهله حزنا على أيام مضت وعهود سلفت ، وكأنما يقرض قلبها بمقراض منذ غابت عن دمشق ... تبيت ساهرة كأنما ترعى النجوم والنجوم لاتتحرك والليل لايأذن بزوال ، وقد حجب عن عينيها النوم اللذيذ .

إن لقاء الطيف لا يكفى فهل تأذن الأيام بلقاء تنعم فيه بالنظر ألا ما أقسى البين والبعد !! .

ولا أمل لها إلا فى الليالى تنصفها فتعمل سيفها فى البين حتى يكون اللقاء ، وما أحلى اللقاء !! .

(٢) فى مخطوطتنا « يُلِمُّ بناظرات » والصواب ما أثبتناه .

[٨] ثمَّامة بنت عبدالله

ثمامة بنت عبدالله بن سوَّار القاضى البصرى .

قال ابن الطَّراح[١] : كانت شاعرة . توفى أخوها سوار القاضى البصرى فى سنة خمس وأربعين ومائتين ؛ فقالت ترثيه :

جفا جفنى الكرى بعـ ـدك وانهلَّت مآقيه[٢]
أمِنْتُ[٣] الدهرَ لمَّا متَّ فلتطرق دواهيه
سقى قبرَكَ دانٍ مُسـ ـبِلٌ واهٍ عزاليه
ولاحَ جديدُ الروضِ مُفترًّا بواديه

(١) فى مخطوطتنا : قال الطِّرمَّاح .

(٢) وهنا نرى شاعرتنا قد استولى عليها الحزن فقد فارق الكرى عينيها وجفاهما بعد موته وسالت الدموع من مآقيها منهلة .

وكأنما أمنت الدهر بعده ، لقد كانت تخاف عواديه خشية فراق أخيها أما اليوم فإنها لم تعد تخشى طوارق الدهر وأحداثه . ولا تملك إلا أن تدعو لقبره بالسُّقيا لينعم فى قبره .

لقد تغيرت الدنيا فى عينيها من بعده ، ولحقت وجه الروض الجميل المتفتح غبرة ترهقها قترة حزنا عليه وكمدا .

(٣) وفى نسختنا « أمَتَّ الدهر » فكأنما الدنيا قد انتهت بموته ، وما أثبتناه يتفق مع مارواه الرواة .

[٩] ثواب بنت عبدالله الحنظلية الهمذانيـــة

قال ابن الطراح[١] شاعرة ماجنة ظريفة . ثم روى عن بعض الشيوخ قال :

كانت ثواب بنت عبدالله من أشعر النساء وأظرفهن وكانت من ساكنى همدان[٢] ، فنظرت يوماً إلى فتى من أولاد التجار – له رُواء ومنظر – ، ورَدَ همدان فى تجارة له ، فأعجبها ووقع بقلبها ، فتزوجته ، فلما دخل بها لم يقع منها بحيث تريد !! ؛ ففركته[٣] ، وأبغضها هو ، ولم يستمرَّ بينهما وفاق ؛ فقالت تهجوه :

إنّى تزوجت من أهل العراق فتى مُرَزّأً ما له عرق ولا باهُ
ما غرَّنى منه إلا حُسْنُ طُرَّتِهِ[٤] ومنطق لنساءِ الحىِّ هيَّاهُ

(١) فى مخطوطتنا « ابن الطِّرِمَّاح » ، وما أثبتناه هو الذى يتفق مع المراجع .
(٢) همذان : بالذال : مدينة من بلاد إيران وفى المخطوط بالدال .
(٣) فركته : كرهته .
(٤) فى مخطوطتنا : إلا حسن منظره .
والأبيات :
هجاء مر لفتى من أهل العراق . مرزَّأ : منكوب . يغر النساء بمنظره وحديثه الحلو الذى يعده للقاء الحسناوات !! .
وعندما كان اللقاء لم تجد فيه أملها فراح يتهمها وأخذت تواجهه بالرد ، وتبادلا التهم !! .
ولقد أغفلنا كلمتين من شأنهما الإغفال ؛ فهما مما لايقال !! .

يقول لما خلا بى : أنت (......)   وذاك من خجلٍ منى تغشّاهُ
فقلت لما أعاد القول ثانيةً   أنتَ الفِداءُ لمن قَدْ كَانَ (.......)

فقال[1] لها أبومنصور الثعالبى يهجو زوجها :

يُحبُّ أبو صالحٍ وليسَ يُطَاوِعهُ (.......)
وقد أمسك البخلَ فى كفه   فأصبحَ لا يُرْتجَى خيرُهُ
فياليت مافى (..........)   ويملكنى رجل غيرُهُ

وقال أبو منصور الثعالبى :

وجدت فى فصل من كتاب الصاحب بن عباد فى ذكر « الحنظلية الشاعرة » قال :

كانت بهمدان ظريفة تعرف « بالحنظلية » خطبها أبوعلى كاتب بكر ، فلما ألَحّ ، وألحّت كتبت إليه :

(.............) مالـه   عند باب (....) هذا (....) ؟
فاصرفه من باب (......)   وأدخلـه من حيث خرج ؟

قال أبو منصور : هى والله فى هذين البيتين أشهر من :

١ – كبشة أخت عمرو . ٢ – والخنساء بنت صخر .

٣ – والجنوب الهندلية . ٤ – وليلى الأخيلية .

(١) فى بعض نسخ المخطوطة : وأنشدها أبومنصور .
(٢) ترتيب الأبيات كما جاء فى مخطوطتنا هو الصواب . والبعض يبدؤها بالبيت الثانى .
وقد أمسكنا عن الكلمات التى لا نرى ذكرها !! .

[١٠]   الحجناء بنت نصيب[١]

الحجنا بنت نصيب الشاعر الأصغر الحبشى مولى المهدى .

قال ابن النجار : لها مدائح فى المهدى قد جُمعت فمنها قولها :

أميرَ المؤمنين ألا ترانا ... كأنا من سواد الليل قير[٢]

أمير المؤمنين ألا ترانا ... خنافس بيننا جُعَلٌ كبير[٣]

أمير المؤمنين ألا ترانا ... فقيراتٍ ووالدنا فقير ؟!!

أضرَّبنا شقاء الجدّ منه ... فليس يَميرنُا فيمن يَمير !![٤]

وأحواض الخليفة مُتْرعات ... لها عَرْف ومَعْروف كبير[٥]

أميرَ المؤمنينُ وأنت غَيثٌ ... يعُم الناسَ وابلُه غزير[٦]

يُعاشُ بفضلِ جُودِكَ بعدموتٍ ... إذا عالوا وينجبرُ الكسير

---

(١) هنا موقعها حسب الترتيب الأبجدى وطبقا لما جاء فى المخطوطة وقد جاءت فى النسخة المحققة تحت رقم ٨ .

(٢) بدئت المقطوعة بهذا البيت فى مخطوطتنا خلافا لغيرها والقير والقار الزفت الأسود .

(٣) الجُعَل : ما يسمى الجعران مذكر الخنافس والواحدة خنفساء .

(٤) يميرنا يحمل إلينا الميرة وهى الطعام وفى القرآن ﴿ ونمير أهلنا ﴾ .

(٥) العرف الرائحة الطيبة والأثر الجميل . ومترعات : مليئات .

(٦) الغيث المطر – والوابل : المطر ، والطل أقل من الوابل وفى القرآن ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل ﴾ .

[١١] حفصة بنت الركونى[١]

من أهل غرناطة[٢] . قال ابن سعيد فى كتاب الغراميات كانت أديبة شاعرة جميلة مشهورة بالحسب والمال .

اتفق أن بات أبو جعفر عبدالملك بن سعيد هو وإياها فى بستان ، وكان يهواها فقال :

رعى الله ليلاً لم يَرُحْ بمذَمَّم ... عَشيَّةَ وارانا بجُودٍ مُؤمَّلِ
وقد خَفَقَتْ من نَحوِ نَجْدِ رَوايحٌ[٣] ... إذا نفحت هبَّتْ بريَّا القَرَنْفُلِ
وغرَّد قُمريٌّ على الدَّوح وانْثَنَى ... قضيبٌ من الرَّيْحانِ من فوق جَدْولِ
يُرى الرَّوضُ مسروراً بما قد بدا له ... عناقٌ ، وضمٌّ ، وارتشافُ مُقَبِّلِ

قالت حَفصــــة[٤] :

لَعَمْرك ما سُرَّ الرياضُ بوصلنا ... ولكنه أبدى لنا الغِلَّ والحسَدْ
ولاصَفَّقَ النهرُ ارتياحاً لقربنا ... ولاصَدَحَ القُمريُّ إلا بمن وَجَدْ
فلا تُحسن الظَّنَّ الذى أنت أهلُه ... فما هو فى كُلِّ المواطِنِ بالرَّشَدْ
فما خِلْتُ هذا الأفق أبدى نجومه ... لِأمرٍ سِوَى كيما يكون لنا رَصَدْ

---

(١) وجاء فى بعض النسخ « التركونية » .
(٢) غرناطة : مدينة من أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس .
(٣) فى النسخة المحققة « أريجة » .
(٤) أستاذة الشواعر فى العصر الأندلسى الأخير حفصة بنت الحاج الركونية ،

وأورد لها « ابن الأنبار »[1] فى تحفة القادم ، و « الملّاحى » فى تاريخه ، و « ابن سعيد فى المغرب » مما قالته للملك الأعظم عبدالمؤمن بن على ارتجالاً بين يديه :

ياسيد الناسِ يامن يؤمِّل الناس رِفْده
امْنُنْ علىَّ بِصَكٍّ يكونُ للدَّهْرِ عُدَّه
تَخُطُّ يمناك فيـــه والحمد لله وحده[3]

وقال ابن دِحْية فى كتاب المطْرِب من أشعار أهل المغرب حفصة بنت الحاج من أشراف غرناطة . رخيمة الشعر ، رقيقة النَّظْم والنثر ، وأنشدنى لها غير واحد من أهل غرناطة :

وهي إحدى شريفات غرناطة الظاهرات بوفر المال ، وفرط الجمال ، وما تزدان به المجالس من حسن المساجلة ، ولهو الحديث ، ولذلك لم يكن بدعا أن يغدو فى أثرها كثير من نساء هذا العصر وكانت نشأتها فى القرن السادس وعمرت إلى منتهاه .

وكانت حفصة – كما رأيت – متدفقة غير متجملة ولا محتشمة لأنها إنما تحكى صورة هذا العصر ، وتنزع عن غايته وكانت تذيع هذا الشعر فيرويه الناس عنها وهم به معجبون .

(١) فى بعض المراجع : ابن الأبار .

(٢) بطِرْسٍ : أشبه ما يكون « بالأوتجراف » يحمل توقيعه .

(٣) وقد سألت امرأة من شريفات غرناطة الركونية تذكاراً تكتبه بخطها فكتبت إليها :

يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم
غُضِّى جفونك عما خطه قلمى
تصفحيه بلحظ الوُدِّ منْعمةً
لا تحفلى بردىء الخط والكلم

ثنائى على تلك الثنايا لأننى … أقولُ على علمٍ وأنطقُ عن خُبْرِ[1]
وأُنْصِفُها لا أكذبُ الله أنَّنى … رشَفْتُ لها ريقاً ألَذَّ من الخَمْرِ

وقال ابن سعيد فى « المغرب » من أهل المائة السادسة ، تولّع بها ملك غَرناطة ، وتغيَّر بسببها على أبى جعفر بن سعيد حتى أدى تغيره عليه أن قتله ، ومن شعرها :

سلام يُفَتِّح فى زَهْرِهِ الكِما … مُ[2] ويُنطق وُرْقَ الغصون[3]
فلا تحسبوا البُعْدَ يُنْسِيكُمُ … فذلك والله ما لا يكـون

وقالت تخاطب ملك غرناطة يوم عيد :

ياذا العُلا وابن الخليـ … ـفة والإمـام المرتَضَـى
يَهْنِـيكَ[5] عيـدٌ قد جرى … - فيه بما تَهوى - الْقَضَا
وأتـاكَ من تَهـواهُ فـى … قَيْدِ الإنـابـة والرِّضـا
لِيُعيدَ من لَذّاتـهِ … ما قـد تَصَرَّم[6] وانقضى

قال أبو جعفر بن سعيد :

---

(١) تتحدث عن ثنايا من تحب عندما انفرجت عنهما شفتا المحبوب لقد رشفت ريقا - كما تصف - ألذ من الخمر !! .

(٢) الكِمام : جمع كِمّ . البُرعم قبل أن يتفتح عن رائحته العطرة الفواحة الشذية .

(٣) الوُرْق : جمع ورقاء . وهى الحمامة .

(٤) النازح الراحل . وثوى فى الحشا : حل فيه وأقام .

(٥) يهنيك . هنيئا لك . وتهنئة بالعيد .

(٦) تصرم : مضى وانقطع .

أقسم ما رأيت وسمعت مثل « حفصـــة » !! .

قال ابن سعيد فى كتابه المسمى بـ « الطالع السعيد » :

كتبت حفصة بنت الحاج الرّكونى المشهورة بالأدب والجمال إلى بعض أصحابها :

أزورُك أم تَزُورُ فإنَّ قلبى إلى ما شِئْتَه أبداً يميلُ ؟!
فثغرى موْرِدٌ عذبٌ زلالٌ وفرعُ ذُؤابتى ظِلٌّ ظَليلُ[1]
وقد امَّلتُ أن تظما وتَضْحى إذا وافى إليك بى المقيلُ
فَعَجِّل بالجوابِ فما جميلٌ أناتُك عن بثينة يا جميلُ

[١٢] حفصة بنت حمدون

من وادى الحجارة[2] ، ذكرها فى المغرب ، وقال : من أهل المائة الرابعة ومن شعرها[3] :

رأى ابن جميلٍ أن يُرى الدهر مُجْمِلاً فكل الورى قد عمَّهم سيْبُ نِعْمته
له خُلقٌ « كالخمرِ » بعدَ مِزاجها وأحسنُ من أخلاقِه حُسْنُ خِلْقَتِه
بوجهٍ كمثلِ الشَّمْسِ يدعو ببشرِه الـ ـعُيونَ ويثنيها[4] بإفراطِ هيبته

(١) المورد : منبع الماء الذى يرد عليه العطاش . أما فرع ذؤابتها : فتقصد ضفائرها ، وما تدلى من شعرها .

(٢) وادى الحجارة بالأندلس .

(٣) كثر اختراعها للمعانى وإبداعها فى نظم الشعر .

(٤) فى نفح الطيب : و « يعشيها » بدلا من يثنيها .

ولهـــا :

لى حبيبٌ لا يَنْثَنى لِعتَابٍ وإذا ما تركته زادَ تيهـا !!
قال لى : هل رأيت لى من شبيهٍ ؟! قلت أيضاً : وهل ترى شبيها ؟[١]

ولها تذم عبيدها :

ياربِّ ، إنى مِنْ عبيدى على جَمْرِ الغضا ما فيهمُ من نَجيبْ
إمَّا جَهُولٌ أبلهٌ مُتْعِبٌ أو فَطِنٌ من كيد- لايجيبْ[٢] !

= وهى ترى أن ممدوحها قد عم الجميع بسيبه وعطائه فلا يرى إلا معطيا مُجْملا ولا عجب فقد رق خُلُقه وصفا ، وإذا كان قد صفا خلقه فقد حسن خَلْقه فوجهه مثل الشمس تتطلع إليها العيون وعندما يبهرها نورها ترتد هيبة .

(١) وحبيبها لا يعود إلى طيب اللقاء بعد العتاب . وإذا ترك يتملكـــه العجب بنفسه والتيه والخيلاء ، ومثل هذا لا يفلح إلا التعامل على طريقته : تيها بتيه !! .

يقول لى : هل رأيت لى من شبيه ؟ وأنا أرد أيضاً : وهل ترى لى شبيها ؟ فليس هناك من هو أحسن من الآخر ، فلا مجال للتيه والتعالى !! .

(٢) الغضا : شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب ، وحجره يبقى زمنا طويلا لا ينطفىء . الواحدة منه : غضاة .

إنها تقاسى من عبيدها وكأنما تتقلب على جمر النار ، فهم بين جهول أبله أو فطن ماكر كلاهما يتعبها ويذيقها الأمرين !! .

وشعرها كما نرى فيه إبداع ورقه تحدثنا عن شعور بالوحشة لفراق أحبتها فتقول :

يا وحشـــتى لأحبتـــى يا وحشـــةً متماديـــة
ياليلـــةً ودعتهـــم ياليلـــةً هى ما هبـــة

« نفح الطيب للمقرى »

[١٣] حمدة بنت زياد

حمدة بنت زياد من بنى الغيث المُؤَدِّب[١] من أهل وادى آش .

قال « ابن الأبّارى »[٢] فى تحفة القادم : إحدى المتأدبات المتصرفات المتغزلات المتعففات .

حدثت عن أبى الكرم جودى بن عبد الرحمن الأديب قال : أنشدنى أبوالقاسم بن البراق ، قال : أنشدتنى « حمدة بنت زياد العوفية » قال ابن الأبارى : أنشدنى الكاتبان : « أبوجعفر بن عبيد الأركشى » و « أبوإسحق بن الفقير الحيانى » قالا : أنشدنا القاضى « أبويحيى » عتبة بن محمد بن عتبة الجرادى لحمدة هذه الأبيات[٣] :

ولما أبى الواشون إلا فراقَنا ... وماهم عندى وعندك من ثار
وشَنُّوا على آذاننا كلَّ غارةٍ ... وقَلَّت حُماتى عند ذاك وأنصارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى ... ومن نَفَسى بالسيف والسيل والنار[٤]

(١) وفى أعلام النساء : حمدة بنت زياد بن عبدالله العوفى . أما فى « الإحاطة » فهى حمدة بنت زياد بن بقى العوفى المؤدب ١ : ٤٩٨ .
(٢) ابن الأبار فى مراجع أخرى .
(٣) هواة الإيقاع بين المحبين هو الواشون ينقلون أحاديث كاذبة ، وليس هناك مايوجب هذه العداوة بينهم وبين المحبين ... راحتهم فى فراقهم دون ثأر بينهم وبينهم . لايستريحون إلا إذا شنوا غارات من كلام كاذب ... والناس يصدقون وتقل الحماة والأنصار عند ذاك . فمن يدافع ومن يرد الغزو بالغزو ؟ تجيب الشاعرة عن ذلك فى البيت الثالث ، فماحك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك .
(٤) جاء فى تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبى =

وحدثنى بعض الناس : أن هذه الأبيات لهجة بنت عبدالرازق الغرناطية .

وقال الصلاح الصفدى فى تذكرته :

الأبيات التى اشتهرت بهذه البلاد ، ونسبها الناس إلى القاضى المنازى وهى :

وقانا وَقدةَ الرَّمضاءِ وادٍ وقَاهُ مُضاعَف الظُّلْمِ العَميم

الأبيات لمجموع رأيت الشيخ شهاب الدين أباجعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى وقد ذكر أنها لحمدة الوادى آشيه[1] .

وقال : إن مؤرخى بلادنا أثبتوها لها من قبل أن يوجد المنازى أ.هـ.

وقال ابن سعيد : غرناطة ... يقال لنسائها المشهورات بالحب والجلالة العربيات لمحافظتهن على المعانى العربية .

= الإصبع المصرى أن هذه الأبيات لزينب بنت زياد المؤدِّب من شواعر العرب وروى الشطر الثانى من البيت الثالث :

ومن نفسى بالسيف والماء والنار

ولقد استشهد ابن أبى الأصبع بالبيت الثالث فى باب صحة التفسير والتبيين . وهو أن يأتى المتكلم فى أول الكلام أو الشاعر فى بيت من الشعر بمعنى لايستقل الفهم بمعرفة فحواه دون أن يفسر إما فى البيت الآخر أو فى بقية البيت . ثم قال : ومن التفسير نوع يتقدم التفسير فيه على المفسَّر . فقولها من مقلتيك وأدمعى ومن نفسى تفسير لبقية البيت .

والأبيات فى نفح الطيب ٢ : ٦٢٩ طبع أوروبا تنسب لحمدونة أخت زينب . وفى الأعلام للزركلى ١ : ٢٧١ يقول : إن حمدة أو حمدونة لها أخت اسمها (زينب) وهما شاعرتان وتوفيت سنة ٦٠٠ هـ .

(١) الأبيات التى تحفظها لحمدة أو حمدونة بنت زياد وأصلها من =

ومن أشهرهن : زينب بنت زياد الواد آشى ، وأختها : حمدة بنت زياد .

وحمدة هذه هى القائلة – وقد خرجت إلى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فى بعض هوى – فسبحن فى الماء وتلاعبن :

أباحَ الدمعُ أسرارى بِوَادٍ — له فى الحسن آثارٌ بَوَادِ
فمِن نهرٍ يطوفُ بكلِّ روضٍ — ومن روضٍ يطوف بكل وادِ
ومن بينِ الظِّباء مَهاةُ أُنْسٍ — لَهَا لُبِّى وقد سلبت فؤادى[1]
لها لحظٌ ترقِّدُه لأمرٍ — وذاك الأمرُ يمنعنى رُقادِى
إذا سدَلَتْ ذوائبَها عليها — رأيت البدرَ فى أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيقٌ — فمن حُزْنٍ تسربل بالحداد[2]

=(وادى آش) وهى أسبق من ولادة عهدا وأبعد منه مدى ، وفى شعرها أنوثة كاملة ، وسهولة نادرة وخيال بديع .

وقانا لفحة الرمضاءِ وادٍ — سقاهُ مضاعَفُ الغيث العميم
حلَلْنا دوْحَه فحنا علينا — حُنُوَّ المرضعاتِ على الفطيم
وأرْشَفنا على ظمأٍ زُلالاً — ألذّ من المدامةِ للنَّديم
يصدُّ الشمس أنّى واجهتنا — فيحجبها ويأذن للنسيم
يروعُ حَصاهُ حاليةَ العذارى — فتلمَسُ جانبَ العِقْدِ النظيم

فهذا الأسلوب من الشعر لا تجد أرقّ ولا أدق ولا أنغم فى الآذان ، ولا أندى على الأكباد منه .

(١) ذكر الأبيات صاحب « المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها » والشطر الثانى من البيت : « سبَتْ لُبِّى وقد ملكت فؤادى » .

(٢) جاء الشطر الثانى : « فمن حزن تسربل بالسواد » وربما كانت رواية المخطوطة أفضل تفاديا لتكرار القافية ، فقد ورد البيت السابق منتهيا بنفس الكلمة .

قال ابن دحية فى المطرب : أنشدنى الأديب زياد المؤدب لنفسها . فذكر هذه الأبيات[1] .

[١٤] خديجة بنت أمير المؤمنين عبدالله المأمون

خديجة بنت أمير المؤمنين عبدالله بن هارون الرشيد العباسى قال ابن النجار :

كانت أديبة شاعرة ظريفة من شعرها :

تالله قولوا لمن ذا الرشا[2] المثقل الرِّدْف الهضيمُ الحشا
أظرف ما كان إذا ما صحَّ[3] وأملحُ الناس إذا ما انتشى
وقد بنى برجَ حمامٍ لـــه أرسل فيه طائراً مرعشـا.

---

(١) سقطت عبارة من المخطوطة :

وهى هكذا :

قال ابن دحية فى المطرب ، أنشدنى الأديب أبوعبدالله محمد بن على الهمدانى قال : أنشدتنى ابنة زياد المؤدب لنفسها فلزم التنويه .

(٢) الرشا : ولد الظبية والعرب تشبه من بلغ حظا من الجمال بالرشا فى سعة عين وخفة حركة واعتدال قوام ، وقد كان من سمات الجمال عندهم ثقل الأرداف من خلف . والهضيم الحشا : خمصاء البطن طاوية البطن . وقد جمع بين الظرف والملاحة فى حالى صحوه ونشوته .

(٣) فى بعض الروايات : « إذا ما صحا » .

ياليتني كنت حماماً لـــه   أو باشقاً[1] يفعل بى ما يشا
لو لبس القُوهِىَّ[3] من رقةٍ   أو جعه القوهِىُّ أو خَدَّشا[2]

(۱) الباشق : طائر من أصغر الجوارح .
(۲) القوهى : ثياب بيض لينة . نسبة إلى قوهستان .
(۳) البيت الأخير كناية عن رقة المحبوب وقريب منه :

خطرات النسيم تجرح خديه   ولمس الورود يدمى بنانه !

ومن الانصاف أن نقول : إن بيت المأمون كان يقوم على العلم والحكمة ، وعلى المرح والدعابة كذلك .

وكانت ابنته خديجة تجدّ فى أثر عمة أبيها « عُلية » من إرسال الشعر فى التشبيب ، وابتكار الغناء والتلحين .

ومن قولها فى خادم من خدم أبيها :

بالله قولين لمن ذا الرشا   المثقل الرِّدْف الهضيم الحشا
أظرف ما كان إذا ماصحا   وأملح الناس إذا ما انتشى

ويقول الأستاذ عبدالله عفيفى مؤلف « المرأة العربية » ... .

وحسبنا أن نقول : إن نساء بيت بنى العباس قد أخذن مآخذ الرجال من السَّرف والاندفاع ، وما نريد أن نقول : إنهن تجاوزن المرح والدعابة إلى ما وراءهما من العبث والفساد .

وإذا زلت هنالك قدم ، أو طمحت عين ، أو لفظ لسان فإن ذلك لا يصدع البيت ، ولا يثلم الأسرة إلا أن يقال : إن ترف الحضارة ، ورونق النعيم ، قد رفعا عن تلك البيئة كلفة الدين ، وخلعا عنها عذار الوقار !! .

[١٥] خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافـرية

خديجة بنت أحمد بن كلثوم المَعافرى[١] وتعرف بخَدُّوج قال « ابن رشيق » فى « الأنموذج » :

هذه المرأة من أهل « رُصْفَة » بساحل البحر شاعرة مشهورة بذلك ، ومن شعرها[٢] :

جمَّعوا بيننا فلما اجتمعنا فرَّقوا بيننا بالزور والبُهتانِ
ما أرى فِعْلَهم بنا اليوم إلا مثلَ فِعْلِ الشيطانِ بالإنسانِ
لهفَ نفسى علامَ تُلْهــــفُ منك إن نأيتَ يا أبا مروانِ !!

---

(١) نبغت فى الشعر والأدب فى أواسط القرن الرابع للهجرة ، قال ابن رشيق فى كتابه « الأنموذج » شاعرة حاذقة مشهورة . لها تَرَسُّل لايقع مثله إلا الحُذّاق المترسلين .

وتعلق بها أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله ومال قلب خديجة إليه لأدبه وكياسته ، فجاشت قريحتها ، ونبغ ذوقها السليم بالنظم الرقيق الجيد .

(٢) كان بعض الوشاة المغرضين قد تصدى لغرامها فكدر صفوه فقالت هذه الأبيات التى كشفت أمر خديجة وحبيبها ، وذاع خبرهما بين أهل « رصفة » فغار لذلك إخوتها وفرقوا بين العاشقين ، ولم يقبل لأبى مروان طلبه يد خديجة بل إنه أبعد منها ، ورُدّ عنها .

ومنـــــه :

أبغى رضاك بطاعةٍ مقرونةٍ ... عندى بطاعةِ رَبِّىَ القُدُّوس[1]

فإذا زللت وجدتُ حِلْمكَ ضيِّقاً ... عن زلّتى أبدا لفرط نُحوسي

ولقد رَجْوتُ بأن أعيشَ كريمةً ... فى ظلّ طودٍ[2] دائم التَّعْريس[3]

ببقاء عِزِّك - لاعدمتُ بقاءه - ... فإذا أنا أُصْلَى[4] بحرِّ شُموس

ياسيدى ماهكذا حكمُ النُّهىَ[5] ... حقُّ الرئيس الرفقُ بالمرءوس

فإذا رضيتَ لى الهوانَ رضيتُهُ ... وجعلت ثوب الذّلّ خير لبوسِ

---

(١) وإلى هذا الحادث أشارت فى كتاب أرسلته إلى أخيها الأكبر ختمته بقولها :

أخى الكبير وسيدى ورئيسى ... ما بال حظى منك حظّ بخيس؟!

أبغى رضاك بطاعة مقرونة ... عندى لطاعة ربى القدوس

الوافى بالوفيات - معجم البلدان لياقوت - شهيرات النساء لحسن حسنى عبدالوهاب .

(٢) الطود : الجبل .

(٣) تعرس لامرأته : تحبب إليها وتودد .

(٤) أصلى : أحترق .

(٥) النُّهى : جمع نُهية وهى العقل .

[١٦] سلمى البغدادية الشاعرة

قال ابن النجار : ذكرها القاضى أبو العلاء محمد بن محمود النيسابورى فى « كتاب سر السرور » الذى جمعه فى شعراء عصره ، وأورد لها هذه الأبيات :

عيونُ مَهَا الصَّريمِ فداءُ عَيْنى وأجياد الظِباء فداءُ جيدِى[١]

أُزيَّن بالعُقودِ وإن نحرى لأزينُ للعقـود من العقودِ

ولا أشكو من الأرداف ثِقْلاً ويشكون من ثِقَل النُّهودِ[٢]

قال ابن الحصين[٣] : وبلغت هذه الأبيات المقتفى فقال :

اسألوا عنها : هل تصدق صفتُها قولَها ؟ .

---

(١) المها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية ، وتشبه بها الحسناوات فى سعة العيون .

الصريم : الرملة المنصرمة من الرمال ذات الشجر .

والجيد : العنق ، وتشبه الحسناوات بالظباء فى العنق وشاعرتنا تزهو بعينها وجيدها ، الذى يزين العقود ولا تزينه العقود ... وقد صاغها الله فأبدع جسمها فلا تشكو ثقل الأرداف بينما غيرها يشكو ثقل النهود !! .

(٢) فى نسخة أخرى من المخطوطة :

ولو جاورت فى بلد ثموداً لما نزل العذاب على ثمود

(الوافى بالوفيات للصفدى) .

(٣) فى تاريخه : سلمى بنت القراطيسى من أهل بغداد كانت مشهورة بالجمال والأدب .

فقالوا : مايكون أجمل منها ! فقال : اسألوا عن عفافها .. .

فقيل : هى أعف الناس !! .

فأرسل إليها مالا جزيلاً وقال : تستعين به على صيانة جمالها ، ورونق أدبها .

[١٧] شمسة الموصلية[١]

قال أبو حبان : كانت شيخة عالمة .

ومن شعرها :

وتَمِيسُ بَيْنَ مُعَصْفَرٍ وَمُزَعْفَرٍ ... ومُكَفَّر ومُعَنْبَرٍ ومُصَنْدَلِ[٢]
كبَهارةٍ فى روضةٍ أو وردةٍ ... فى جَوْنةٍ أو صورةٍ فى هَيكلِ
هيفاءُ إن قال الزمانُ لها انهضى ... قالت روادفها : اقعدى وتمهَّلى

---

(١) سماها صاحب أعلام النساء : شمسية الموصلية نقلا عن الوافى بالوفيات للصفدى (مخطوط) .

(٢) تميس : تختال . المعصفر من الثياب : ما صبغ بالعصفر ، وهو نبات بزره القرطم الذى يصبغ به المزعفر : المصبوغ بالزعفران . المكفر : الكافور نبت طيب ، ويقال : طائر مكفَّر : أى مغطى بالريش . المعنبر : عنبر الشيء طيبه بالعنبر (الزعفران) . المصندل : الصندل : شجر هندى طيب الرائحة .

البَهارة : نبتة طيبة الرائحة . الجونة : الشمس .

هيفاء : الهيفاء رقيقة البطن والهيف ضمور البطن ورقة الخاصرة . الروادف : جمع رِدْف : مؤخرة المرأة =

[١٨] شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الأبرى الدينورية[١]

شهدة بنت أبى نصر أحمد بن أبى الفرج بن عمر الدينورى ثم البغدادى الأبرى الكاتبة فخر النساء ومنشدة العراق كانت ذات دين وورع وعبادة ، سمعت الكثير ، وعمَّرت ، وكتبت الخط المنسوب على طريقة الكاتبة بنت الأقرع ، وما كان من زمانها من يكتب مثلها ، وكان لها الإسناد العالى ، ألحقت الأصاغر بالأكابر .

سمعت من أبى الخطاب نصر بن البطروانى[٢] والحسين بن أحمد بن طلحة النعّالى ، وطراز الزينبى ، وفخر الإسلام أبى بكر الشاشى ، وغيرهم ، واشتهر ذكرها ، وبعد صيتها ، واختصت بالخليفة المقتّضى ، وقاربت المائة ، وماتت سنة أربع وسبعين وخمسمائة[٣] .

قال الصلاح الصفدى :

رأيت بخط ، بعض الأفاضل قال : نقلت من مجموع بخط الصاحب كمال الدين بن العديم « لشهدة بنت الأبرى » الكاتبة :

= ومن تصفها : مياسة فواحة رشيقة خفيفة غير أن روادفها تثقلها ، وتلك سمات الحسن والجمال عندهم .

(١) وتدعى فخر النساء .

(٢) فى وفيات الأعيان (البطروانى) وفى الشذرات (البطر) .

(٣) فى تاريخ أبى الفداء أنها توفيت سنة ٥٧٣ هـ .

مِلْ بى إلى مجرى النسيم العانى ... واجعل مقيلَك دوحتى نعمان[١]

وإذا العيونُ شنَنَّ غارةَ سِحْرِها ... ورمَين عن حصنِ المنون جوان

فاحفظ فؤادَك أن يُصابَ بنَظْرةٍ ... عَرَضاً فآفة قلبك العينانِ[٢]

من كل جائلةِ الوشاحِ يَهُزُّها ... مرحُ الشبابِ اللدن هَزَّ البانِ[٣]

بيضٌ غَنينَ بحسنهن عن الحلى ... ولذاك أسماء النساء غَوانِ[٤]

سكنوا العقيق وحركوا بغرامهم ... قلبا يكاد يطير بالخفقان[٥]

حَمَّلتُه ثقلَ الهوى فلم يطق ... فأطعته فى طرحه وعصانى[٦]

سلبَتْه يوم الدوحتين طليعةٌ ... نزلت بهذا الحى من غطفان

---

(١) تطلب إلى من تحدثه أن يميل بها حيث النسيم العليل الوانى ... لتقضى القيلولة تحت « دوحتى نعمان » بين ظل ظليل ونسيم عليل .

(٢) إن العينين آفة القلب ، ولهذا كان التحذير من سحرهما ونظراتهما الصائبة .

(٣) الوشاح ما تتشح به المرأة ، وجائلة الوشاح ممشوقة القوام غير الممتلئة مما يسمح للوشاح بالحركة ، من ذوات الغصن الرطيب اللدن لما فيهن من خفة الشباب ومرحه .

(٤) الغانية التى استغنت بجمالها عن الزينة .

(٥) وهؤلاء اللائى استغنين بحسنهن ليسكن العقيق . قد أثاروا بغرامهم القلب . والعقيق الوادى وكل سيل ماء ، واسم لعدة مواضع فى بلاد العرب .

(٥) فى المخطوطة الأخرى . (حملته ثقل السُّلُوِّ) . لقد حاولت أن تنسى لكن ذاك اللقاء « يوم الدوحتين » سلبها قلبها . الذى لم يعد يطاوعها على النسيان !! .

حتامَ تُفْرِطُ فى الصبابة أضلعى   وتُلحُّ من عبراتِها أجفانى ؟![1]

وإذا تبسم ثغرُ برقٍ مُنْجِدٍ   أغرى دموع العين بالهملان[2]

ياحادىَ النكْرانِ هل لك روحةٌ   بالعمر عند مسارح الرُّعيانِ ؟

فتذَكِّر الناسين عهدى بالحمى   فجديده أبلاه من أبلانى[3]

وذكرت ميدانَ الوداع فأرسلت   عينى إلى أمد البكاء عنانى[4]

لم أَخْشَ من ظمأ الحوادث إذعرت   ومعى نظير الجدول الريان[5]

إن مسنى سغبٌ قَرانى غَرْبُه   أو قلّنى ظمأ فرى فسقانى[6]

وإذا السيوف تحدثت لجفونها   فحديثها منه بأحمرَ قانى[7]

قال الصفدى :

أنا أستبعد أن يكون هذا الشعر « لشهدة » .

قال : على أننى رأيته فى مجموع قديم بخطٍّ فاضلٍ وقد نسبه إليها .

(١) تتساءل مستنكرة: حتى متى تظل مظاهر الحب فى جوانبها وفى عبراتها ؟! .

(٢) كل ما حولها يغريها بالبكاء حتى ابتسامة البرق !!

(٣) إنها تُناشد قائد القافلة الغادية لعله يَروحُ فيما بقى من العمر فيُمر على مسارح الرعيان ليُذكر محبا لها قد نسى ذلك العهد الجميل الذى أبلاه الهجر والنسيان !! .

(٤) لقد ذكرت ميدان الوداع فأرسلت لعينها العنان فى البكاء لتبكى وتبكى .

(٥) إنها لم تعد تخشى ظمأ الحوادث التى تعتريها ... لأن معها ذلك الجدول ، الرَّيَّان الذى يفيض دموعا كلما اعترتها حادثة فيطفىء لهيبها .

(٦) السغب : الجوع . والقرى : مايقدم للضيف . والغرب :الدلو . إنها لاتشكو جوعا أو عطشا ؛ لأن معها نظير الجدول يغنيها من جوع ، ويرويها من عطش . (٧) ومن هذا النهر تبادل نظرات المحب الفتاكه بدموع دامية !! .

[١٩] صفـية البغـداديـة الشـاعرة[١]

صفية البغدادية الشاعرة : قال ابن النجار : ذكرها أبوالعلاء محمد ين محمود النيسابورى قاضى غزنة فى كتابه : « سر السرور » الذى جمعه فى أخبار شعراء عصره .

وأورد لها :

أنا فتنةُ الدُّنْيا التى فتَنَتْ حِجَا　　كُلِّ القُلوبِ فكُلُّها فى مَغْرَمِ[١]

أَتَرى مُحَيَّاىَ البديعَ جمالُه　　وتَظُنُّ ياهذا بأنك تَسْلَمِ[٢]

[٢٠] صفية بنت عبدالرحمن

صفية بنت عبدالرحمن بن محمد بن على بن يعيش .

قال ابن النجار :

كانت واعظةً أديبةً فاضلةً .

---

(١) فى نسخة أخرى من المخطوطة « صعبة » وفى أعلام النساء « صفية » .

(٢) الحجا : العقل والفطنة . والمغرم : الغرامة والمعاناة والمشقة .

(٣) ولا يملك من يرى جمالها الباهر إلا أن يقع فى حبها وأين ذاك الذى يراها ويسلم ؟! .

أنشدتنى لنفسها مُجيزة لهذا البيت :

إذا ما خلت أرضٌ من أحِبَّتى فلاسال واديها ولااخْضرَّ عُودُها[1]

فقالت :

ولانطقت فى الرَّبْع بعدك جارةٌ يَلَذُّ بسمعى شَدْوُها ونشيدُها[2]
وإنى لأبكى الرَّبْع مُذْ بانَ أهلُه وأنشدُ ليلاتٍ قضت من يُعيدها؟[3]

ماتت يوم الجمعة لأربع خلَوْن من ذى الحجة سنة عشرين وستمائة .

---

(١) وفى الوافى بالوفيات للصفدى :

إذا ما خلت من أرض كد أحبتى ....

إن الأرض التى تخلو من الأحبة لا تستحق الحياة فلا سال ماؤها ، ولا اخضر عودها ، وما أبعد هذه النظرة الأنانية فى الحب من تلك الروح الإنسانية لدى عباس بن الأحنف حيث يقول :

أرى البين يشكوه المحبون كلهم فيارب قرب دار كل حبيب !!

(٢) فبدون المحبوب لا يهنأ له عيش ، ولا يلذ له شدو ، ولا يستحق الرَّبع أن ينعم بمظاهر الحياة منذ فارقه المحبوب .

(٣) إن حياته منذ الفراق كلها حزن وبكاء ... يبكى الليالى التى مضت ، ويتحسر على ذهابها وعدم عودتها . وفى بعض النسخ : « ليلات مضت » .

[٢١] طيف البغدادية الشاعرة

طيف البغدادية الشاعرة : كذا ذكرها ابن النجار وقال : قرأت فى كتاب صاعد بن فارس بن السلطان اللّبَّان [١] . بخطه قال : لبعض نساء بغداد واسمها « طيف » :

وظبية مِنْ بناتِ الروم قلتُ لها ... لما التقينا – وقلبى عندها عَلِق –[٢]
هل فى زيارةِ صبٍّ عاشقٍ دَنِفٍ[٣] ... أجر ؟ فقالت : ودمع العين يَسْتَبِقُ
لولا الوُشاةُ وأن الخوفَ يُقْلِقُنى ... لهانَ ذاك ، وعَلَّ الأمرَ يتَّفِق[٤]

وقال : ولها أيضاً :

فتكت بنا يوم القِداح ... بيضاءُ تهزأ بالمِـلاَح
تبدَّى[٥] الظلامُ بفَرْعِها ... وبوجْهِها ضوءُ الصباح
ويَجِدّ فى قتل السليم ... الجِدّ فى ظِلِّ المزاح[٦]

(١) وفى بعض النسخ « اللسان » .
(٢) عَلِق : متعلق بها مرهون بحبها .
(٣) الدنف : الذى أدنفه الحب وأمرضه .
(٤) ليس لدى المحبوب ما يحول دون زيادة من يحبه لولا الوشاة الحاقدون ، وخوف القيـل والقال !! .
(٥) فى نسخة أخرى « يبدو » . والفرع الشعر ، وهو فى سواده يشبه الليل .
(٦) فى المخطوطة الأخرى : وتجد فى قتل السليم الجدَّ فى خلل المزاح

وقال : ولها أيضاً :

أسفتْ على ما نلتُ منها بعد ما جذّتْ حبالى[1]
وتقولُ : وا حسرّاه آهِ على النوى وعلى الوصال[2]

[٢٢] عائشة بنت الخليفة المعتصم

عائشة بنت الخليفة المعتصم محمد بن هارون الرشيد العباسى قال ابن النجار : كانت أديبة شاعرة .

كتب إليها عيسى بن القاسم بن محمد بن سليمان بن على بن عبدالله بن عباس أن توجه إليه بجاريتها وكان يهواها :

كتبتُ إليكِ ولم أحْتَشِمْ وشوقُ المحبين لا يَنْكَتِمْ
صَبُوحىَ فى السبت من عادتى على رغم أنف الذى قد زعمْ
وعيشى يتم بمن تعلمين (ولا تشك شكوى امرىء قد ظُلِمْ)[3]
(ولا تحبسيها لوقت المبيت كما يفعل الرجل المُعْتِمْ)

(١) بعد أن قطعت حبال الوصل بينى وبينها نال منها الأسف وندمت على ماكان بينى وبينها !! .

(٢) إنها تتحسَّر على البعد والقرب ... فلحظات الوصال قليلة وما أمر الفراق !! .

(٣) فى الوافى بالوفيات للصفدى (مخطوط) جاء الشطر الثانى : .

« بتربة سيدك المعتصم » =

[٢٣] عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبيـة

قال أبو حيان فى « المقتبس » : لم يكن فى زماننا فى حَرَائر الأندلس من يَعْدُلُها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة ، تمدح ملوك الأندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة !! .

وكانت حسنة الخط ، تكتب المصاحف ، ماتت عذراء – لم تُنْكَح – سنة أربعمائة .

وقال فى « المغرب » من عجائب زمانها وغرائب أوانها ، وأبوعبدالله الطيب عمها ، ولو قيل : إنها أشعر منه لجاز .

دخلت على المظفّر بن منصور أبى عامر وبين يديه ولد له ، فارتجلت :

= وتذكر كتب الأدب أنها قد أنفذتها وكتبت إليه الأبيات الآتية التى تنتهى بالبيت الخامس ، ولعلها سقطت من المخطوطة :

قرأت كتابك فيما سـألـ ـت وما أنت عِندىَ بالمتهَمْ
أتتك المليحةُ فى حُلَّةٍ من النور تُجلى سوادَ الظُّلَمْ
فخذها هنيئاً كما قد سألت ولاتَشْكُ شكوى امرىء قد ظُلِمْ
ولا تحبسنها لوقت المبيـت كما يفعل الرجل المغتنم

وعلى هذا فالشطر الثانى من البيت الرابع وكذا البيت الخامس ليسا من كلام عيسى بن القاسم وإنما هما من شعرها مما جاء على لسانها رداً عليه فيما طلب . وهذا هو الذى يناسبه سياق الكلام .

أراكَ اللهُ فيه ما تُريـــدُ ولا بَرِحَت معاليـه تزيـدُ [١]
فقَدْ دَلّتْ مخايلُـه على ما تُؤَمِّلُه وطالِعُـهُ السـعيدُ [٢]
تشَوَّقتِ الجيادُ له وهـــزَّ الحسامُ هوى وأشرقت البنودُ [٣]
فسوف تراه بدراً فى سماءٍ من العَلْيا كواكبه الجنودُ [٤]
وكيف يخيبُ شبلٌ [٥] قد نمته إلى العَلْيا ضَرَاغِمَةٌ أُسُودُ
فأنتمُ آلُ عامرٍ خير آلٍ زكا الأبناءُ منكم والجدود
وليدُكُم له رأىٌ كشـــيخ وشيخكم لدى حربٍ وليدُ [٦]

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت إليه :

أنا لبوةٌ لكننى لا أرتضي برقِّي مناخاً طولَ دهرىَ من أحدْ [٧]
ولو أننى أختار ذلك لم أُجبْ كلباً وكم غَلَّقتُ سمعى عن أسد [٨]

(١) تدعو له بتحقيق آماله فيه ، وأن يزيده الله علوا ورفعه .

(٢) وإن ما يبدو عليه ليوحى بذلك .. وكذلك طالعه .

(٣) إن الخيل وميادين القتال فى انتظاره والسيوف تهتز هوىً إلى قبضته ، والأعلام ترفرف حنينا وشوقا إلى الفارس المنتظر يحمل الراية الظافرة .

(٤) إنها تبشر والده بمستقبل مشرق لابنه فهو البدر الطالع ومن حوله النجوم جنوده .

(٥) ومن ينتمى إلى العلياء يكون كآبائه فهذا الشبل من ذاك الأسد .

(٦) لقد زكا الأبناء ونموا من آل عامر ذرية طاهرة بعضها من بعض والوليد له رأى الشيخ ، والشيخ يتمتع بحيوية الوليد وقوته فى الحرب .

(٧) لا ترضى أن تكون مستذلة مستنيخة لأحد رغم أنوثتها ، وفى نفح الطيب والوافى بالوفيات « نفسى » بدلا من « برق » .

(٨) ويوم أن ترضى بذلك فلن تجيب كلبا وكيف وهى التى كم رفضت الأسود ؟! .

[٢٤] عائشة الإسكندرانية

عائشة الإسكندرانية المعروفة بزهرة الأدب !! .

قال ابن سعيد : كان مجلسها يعرف « بالروض » .

قالت تخاطب من بعث إليها بشعر ذكر فيه أن قلبه من الحب يتقلب فى جمر الغضا .

إذا كان قلبُك ذا صاحب فلا تَبْعَثنَّ بأســـــراره
فإنى لأُشْــفِقُ من نــاره على الروضِ أو بعض أزهاره

(١) تنصح له ألا يبوح بأسرار قلبه حتىَ لايحترق بالنار من يهواهم ، وفى ذكرها الروض تورية جميلة ، فالروض مجلسها ، وهى أول من تحترق بنار الحب عندما تذاع أسراره .

وجاء فى بعض النسخ « ذا جاحم » بدلا من « ذا صاحب » . ولعلها كالجحيم بما فيه من نيران شديدة متأججة .

[٢٥] عابـدة بنت محمـد الجهنيـــة

عابدة بنت محمد الجهنية[1] : امرأة عمر أبى محمد الحسن بن محمد المهلّبى الوزير .

قال ابن النجار : كانت أديبة شاعرة فصيحة فاضلة ، روى عنها القاضى أبوعلى المحسن ابن على بن محمد التنوخى .

قال التنوخى : حضرت ببغداد فى مجلس الملك عضد الدولة فى يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وثلاثمائة والشعراء ينشدونه التهانى ، فحضرت عابدة الجهنية امرأة عمر بن محمد المهلّبى فأنشدت قصيدة لم أظفر منها بشىء !! .

قال « التنوخى » : أنشدتنى عابدة لنفسها ، وهذه امرأة فاضلة كانت تهجو أباجعفر محمد بن القاسم الكرخى[2] :

شاورنى الكرخىُّ لما دنا النيروزُ[3] والسنُّ له ضاحكهْ
فقال : ما تُهدى لسلطانِنا من خيرِ ما الكفُّ له مالِكَهْ ؟

---

(١) وهى شاعرة فاضلة ، وخطاطة ماهرة ، وأديبة فصيحة .
(٢) لما ولى الوزارة .
(٣) النيروز : أول السنة الشمسية عند الفرس ، ومع النيروز يأتى الربيع يختال ضاحكا ، وفى مخطوطنا « يشاورنى » . وقد جاءت فى مشاهير النساء وأعلام النساء الوافى الوفيات « شاورنى » .

فقلت له : كل الهدايا سوى مشورتى ضائعة هالكة
أهْدِ له نفسك حتى إذا أشعلَ ناراً كنتَ (دُوباركة)

قال التنوخى :

« الدُّو باركة » كلمة أعجمية وهى اسم للعب على قدر الصبيان يحلها أهل بغداد فى سطوحهم ليلة النيروز وقد كانت تنشدنى أفضل من هذا ، وكتبت ذلك عنهافى موضع من كتبى .

[٢٦] عاتكة بنت محمد بن القاسم المخزومية

عاتكة بنت محمد بن القاسم بن محمد بن يحيى بن حابس بن عبدالله بن يحيى بن طقيس بن عبدالله بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله ابن عمرو بن مخزوم المخزومية أم أبى الحسن محمد بن عبيدالله السلامى الشاعر .

قال ابن النجار ، كانت شاعرة مدحت عضد الدولة ببغداد فى يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وثلاثمائة وحضر الشعراء ، فأنشدوا التهانى ، وحضرت أم أبى الحسن البغدادى السلّامىّ ، فأنشدته قصيدة طويلة بعبارة فصيحة ، وإنشاد صيّت مستقيم ، ولسان سليم من اللحن لم أصل إلى جميعها ، تقول فيها عند ذكرها لحسان :

شتَّان بين مُدَبِّر ومُدَبَّر صيدُ الليوثِ حصائدُ الغُزلان
روَّعْتُه من بعد دهرٍ راعنى وسقيته ما كان قبل سقانى[1]
فلقد سهرت لياليًا ولياليًا حتى رأيتك يا هلال زمانى !!

[٢٧] العباسة بنت الخليفة المهدى أخت هارون الرشيد[2]

أمها : أم ولد ،واسمها « رضيم » قال ابن النجار : كانت العباسة بديعة الجمال ، فاضلة جليلة[3].

قال الجاحظ : كتبت إلى وكيل لها يقال له : سَباع ، وقد بلغها أنه يحتاج إلى مالها ، ويبنى به المساجد والحِياض :

---

(١) لقد انتصرت لنفسها وروعته بعد أن راعها وسقته ما كان قد سقاها وما أظلم الليوث تعدو على الغزلان !! .

ولكن بعد الظلام يطلع القمر ... ويروى البيت :

شتان بين مدبر ومدمر ....

(٢) فى مخطوطتنا : العباسة وفى المراجع الكثيرة ، العباسية . (تاريخ الطبرى مروج الذهب . أعلام النساء) .

(٣) قال ابن قتيبة فى « معارفه » : وأما « العباسة » فزوَّجها « هارون » من « محمد بن سليمان » فمات عنها ، فتزوجها « إبراهيم بن صالح بن على » أ. هـ .

ويقول الأستاذ عبدالله عفيفى : وأما العباسة فقد قال المؤرخون فى أمر صلتها بجعفر بن يحيى البرمكى ماقالوا ، وذكروا أن هذه الصلة هى التى حملت الرشيد على قتله جعفراً ، وإيقاعه بالبرامكة : كذلك كان الناس يعرفون قبل ابن خلدون ، فلما أنشأ هو مقدمته جعل هذا القول من أوهام المؤرخين . وقال فى سبيل ذلك :

أَلَا أيُّهذا المُعْمِلُ العيس بلِّغنْ	سباعاً وقُل إن ضمَّ إياكما السَّفْرُ
أتظلمنى مالى فإن جاء سائل	رفقت له أن حطه نحوك الفقر
كشَافِيَةِ المرضى بفائدة الزِّنا	نؤمِّله أجراً وليس له أجر

ماتت سنة ١٨٢ بالرقة .

= « ... وهيهات ذلك من منصب العباسية فى دينها وأبوتها وجلالها ، وأنها بنت عبدالله بن عباس ليس بينها وبينه إلا أربعة رجال ، هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده » .

العباسة بنت محمد المهدى بن عبدالله بن أبى جعفر المنصور بن محمد السجّاد بن على أبى الخلفاء بن عبدالله ترجمان القرآن بن العباس عم النبى ﷺ . ابنة خليفة ، أخت خليفة ، محفوفة بالملك العزيز ، وصحبة الرسول ، وعمومته ، وإمامة الملة ، ونور الوحى ، ومهبط الملائكة من سائر جهاتها ، وقربة عهد ببداوة العروبة ، وسذاجة الدين البعيدة عن عوائد السرف ، ومراتع الفواحش فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها ؟! أو أين توجد الطهارة والذكاء إذا فقد من بيتها ؟! أو كيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى ، وتدنس شرفها العربى بمولى من موالى الأعاجم ؟! .

[٢٨] عُلَيَّة بنت الخليفة المهدى(١)

قال ابن النجار : أمّها « مكنونة » اشتريت للمهدى بمائة ألف درهم ، وكانت عُلَيَّة من أحسن النساء ، وأظرفهن وأعقلهن ذات صيانة وأدب بارع ، تقول الشعر الجيد وتسوغ فيه الألحان الحسنة ، ولها ديوان شعر معروف بين الأدباء .

وكان أخوها الرشيد يبالغ فى إكرامها واحترامها ، وكانت من أعف الناس ، إذا طهرت لزمت المحراب ، وإذا لم تكن طاهراً غنت .

---

(١) كان المهدى أول ناشىء فى مهاد الدعة وبين ظلال النعيم من بنى العباس . ولم يكن فى غيرة أبيه ، بل كانت الغيرة أضعف نواحيه ألبس ابنته « البانوقة » ثياب الجند وقدمها بين يديه فى موكب الحج ، ويقول القرطبى : « كان المهدى فى موكبه يسير وابنته البانوقة تسير بين يديه فى هيئة الفتيان متقلدة سيفا وقد رفع ثدياها القباء لنهودهما » .

ولم تطل حياة البانوقة بل هصرها الموت فأخلت الطريق لأختيها : عُلَيَّة والعباسة . (المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها . عبدالله عفيفى) .

ويقول صاحب أعلام النساء :

ولها ديوان شعر معروف بين الأدباء . وتوفيت سنة ٢١٠ هـ وصلى عليها المأمون . ثم يعلق قائلا : وذكروا أن سبب وفاتها أن المأمون ضمها إليه وجعل يقبل رأسها وكان وجهها مغطىً فشرقت من ذلك وسعلت ثم حُمَّت بعقب هذا أياما يسيرة وماتت .

وتزوجت موسى بن عيسى بن موسى بن محمد العباسى .

ولدت سنة ستين ومائة ، وتوفيت سنة عشر ومائتين .

ومن شعرها :

أَهْلِى سَلُوا اللهَ العافية ... فقد دَهَتْنى بعدكُم داهية

مالى أرى الأَبْصَارَ بى جافيةً ... لم تلتفت منى إلى ناحية ؟!!

ما ينظر الناسُ إلى المبْتَلَى ... وإنما الناسُ مع العافيـــة !!

---

(١) كانت عُلَية شاعرة مغنية جميلة متجملة ، وروت لها كتب الأدب كثيرا من الشعر الغنائى .

وفى كثير مما رووا تشبيب بفتيين مِنْ مماليك الرشيد يدعى أحدهما « طلّا » والآخر « رشا » وربما زجرها الرشيد فصحفت اسميهما وجعلت أولهما « ظلا » والثانى : « زينب » وهما تصحيف طل ورشا . كما سيأتى فى النص المحقق .

ومن قولها فى « طل » :

أيا سروة البستان طال تشوقى ... فهل لى إلى « ظلٍّ » إليك سبيل؟

ومن قولها فى « رشا » :

وجـد الفؤاد « بزينبـا » ... وجدا شـــديداً متعبـــا

وفى « الأغانى » اختلاف فى بعض كلمات هذه الأبيات :

« صحبى » بدلا من « أهلى » فى البيت الأول . وفى بعض نسخ المخطوطة « الأنظار » بدلا من « الأبصار » فى البيت الثانى .

أما البيت الثالث فقد جاء فى الأغانى « لاينظر » بدلا من « ما ينظر » .

وقد أورد صاحب الأغانى بيتا رابعاً :

صـــارمنـــى بعدكم سيدى ... فالعين فى هجرانـه باكية

والصّرام والمصارمة المقاطعة .

ومنـــــه :

ألْبِس الماء مُدَاما واسقنى حتى أناما
وأَفِض جودَك فى النا س تكن فيهم إماما
لعن الله أخا البُخْـــــل وإن صلّى وصاما[1]

ومنـــــه :

كتمتُ اسمَ الحبيب عن العبادِ وردَّدْت الصبابةَ فى فؤادى
فوا شوق إلى نادٍ خلِـــىٍّ لَعَلّى باسم من أهوى أنادى

ومنـــــه :

إنى كثرتُ عليهِ فى زيارتهِ فمَلَّ والشيء مَمْلولٌ إذا كثرا
ورابنى منه أنى لاأزالُ أرى فى طَرْفِه قِصَراً عنى إذا نظرا

ومنـــــه :

أما والله لو جُـوزيـــــــتُ بالإحسان إحسانا
لما صدَّ الذى أهوى ولا ملَّا ولا خانا
رأيت الناس من ألقى علَيْهم نفسه هانا

---

(١) سقط من مخطوطنا بيتان بين هذه الأبيات وما بعدها ومنه :

صحائفنا إشارتنا وأكثر رُسْلنا الحُدق
لأن الكتب قد تُقْرا وليس بُرسْلنا نثــق !!

إنها تحيط حبها بالكتمان ، وتكتفى فى التعبير عنه بإشارات العيون والأحداق ، لأنها لا تثق بالرسل بين المحبين فقد تقرأ الخطابات ، ويفتضح أمر المحبين !! .

فزر غباً[٢] تَزْدَدْ حُبًّا وإن حُمِّلْتَ أشجانا

وقال الحصرى فى كتاب « النورين » :

كانت عُلَيَّة تعدل بكثير من أفاضل الرجال فى فضائل العقل ، وحسن المقال ، ولها شعر رائق ، وغناء رائع وهى القائلة :

وضع الحُبُّ على الجَوْر فلو أنصف المعشوق فيه لسَمُج[١]
ليس يُستَحْسَنُ فى وصف[٢] الهوى
وقليل الحب صِرْفاً خالصاً لك خير من كثير قد مُزِجْ

قال : وخرج الرشيد إلى الرىّ ومعه عُلَيَّه فلما قارب المرج عملت شعراً وغنته[٣] :

---

(٢) الغب : مرة بعد أخرى . زيارات متقطعة غير متواصلة ومهما تحمل الإنسان فعليه ألا يكثر من تلك الزيارات حتى لايكون مملولا .

(١) الجور : الظلم وحلاوته فى هذا الظلم وإلا أصبح قبيحا سمجا إن كان هناك إنصاف فيه !! وكأنها ذهبت إلى قول عباس بن الأحنف :

إذا لم يكن فى الحب سخط ولارضى فأين حلاوات الرسائل والكتب
وأحسن أيام الهوى يومك الذى تروع بالهجران فيه وبالعتب

وقريب من البيت الثانى قول أبى نواس ورواه قوم لعنان الناطفى :

حلو العتاب يهيجه الإدلال لم يحل إلا بالعتاب وصال

(٢) فى رواية زهر الآداب « وصف الهوى » بدلا من نعت الهوى وكلاهما واحد .

(٣) ورد البيت الأول يبكى لشجوه بدلا من لشأنه .

فلما وقف الرشيد على هذا الشعر قال : حنت عُليّة إلى الوطن ، وأمرها بالرجوع إلى بغداد .

ومغترب بالمرج يبكى لشأنه وقد غاب عنه المسْعِدون على الحب
إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه تنشَّق يستَشْفِى برائحة الرَّكب

فلما سمع الصوت رق عليها ، وعلم أنها اشتاقت إلى بغداد فأمر بردها .

وقال إسحاق الموصلى : كانت عُلَيَّة إذا طهرت لزمت المحراب وقرأت القرآن !! .

وإذا لم تُصَلِّ غنت ، وكانت تكاتب الأشعار خادمين : يقال لأحدهما : « طل » ، وتكنى عنه « بظل » ، والآخر : « رشا » وتكنى عنه « بزينب » على أنهما جاريتان ، فحجب طل عندما أحس الرشيد بما بينهما فقالت :

أيا سروةَ البستانِ طال تَشُوقى[1] فهل لى إلى (ظِلٍّ) إليك سبيل؟
متى يلتقى من ليس يُرجى خروجه[2] وليس لمن تهوى إليه دخول ؟!

وكان الرشيد قد حلف عليها ألا تكلم « طَلَّا » ولا تذكر اسمه فدخل عليها غفلة وهى تقرأ فى المصحف : ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل ﴾[3] فما نهى عنه أمير المؤمنين ؛ فضحك ، وقبل رأسها وقال : ولا كل هذا !! ... وقد وهبت لك « طلاً » .

---

(١) جاء فى بعض النسخ طال « تشمسى » بلاد من « تشوق » .
(٢) فى رواية صاحب « كتاب المرأة العربية » .
متى يلتقى من ليس يقضى خروجه « بدلا من يُرجي » وتتمة البيتين :
عسى الله أن نرتاح من كربة لنا فيلقى اغتباطاً خُلّةٌ وخليل !!
(٣) البقرة : ٢٦٥.

ومن قولها فى « رشا » :

القلبُ مشتاقٌ إلى « رَيْب » يارَبِّ ما هذا من العيب !!
قد تيَّمت قلبى فلم أستطيع إلا البُكا يا عالم الغيب
خبَّأت فى شعرى ذكر الذى أحْبَبْتُه كالخبَا فى الجيب

لأن قولها فى الشطر الأول « ريب » تصحيف « رشا »[1] .

(١) كان فى جبين عُلَيَّة سعة غير مستحسنة فافترعت له « العصابة » وهى شقة من الحرير محلاة بصنوف الجوهر فسترت عيبها وزادتها جمالا .

[٢٩] قسمونة بنت إسماعيل بن بغدَالة اليهودى

قال فى « المغرب » من أهل المائة السادسة .

كان أبوها قد اعتنى بتأديبها ، وكان أبوها ربما صنع القسيم من الموشحة[١] فأتمها بقسيم آخر .

وقال لها أبوها يوماً أجيزى[٢] :

لى صاحبة ذات بهجة قد قابلت نفعاً بضر واستحلّت جرمها

ففكرت مدة غير كثيرة وقالت :

---

(١) الموشح فن ابتكره الأندلسيون ، وحاولوا به أن يجددوا فى نظام الوزن والقافية فى الشعر العربى ، فلم يتقيدوا فيه بوزن ولا بقافية واحدة .

وسبب اختراع الموشحات : — ما أشار ابن خلدون فى مقدمته — « وهو ما تولد فى النفوس من رقة وميل إلى الدعابة فى الكلام ، وفى نوع التعابير ، وشعور الناس من أدباء وشعراء بضرورة الخروج من الأوزان القديمة المعروفة لضيق تلك الأوزان عن احتمال عبث الشعراء بالشعر على حسب أهوائهم » .

ومن نماذج الموشحات التى أصبحت على كل لسان :

موشحة لسان الدين بن الخطيب يتحدث فيها عن أيام جميلة سعيدة له فى « غرناطة » :

جادكَ الغيث إذا الغيث همى ... يازمان الوصل بالأندلسى
لم يكن وصلك إلا حلما ... فى الكرى أو خلسة المختلس

(٢) المقصود بالإجازة : أن تتم ما بدأ وتبنى عليه .

كالشَّمسِ منها البدرُ تلبس نوره   أبداً ويكسِف بعد ذلك جرمها

فقام كالمختبل ، وضمها إليه ، وجعل يقبل رأسها ويقول :

أنت والعشر كلمات .... أشعر منى !! .

ونظرت فى المرآة ، فنظرت جمالها ، وقد بلغت أوان التزويج ، ولم تتزوج فقالت :

أَرى روضةً قد حانَ منها قطافُها   ولستُ أرى جانٍ[1] يَمُدُّ لها يَدَا

فوا أسفى يمضى الشبابُ مُضيَّعاً   ويبقى الذى (ماإن أسميه) مُفْرَدَا

فسمعها أبوها فنظر فى تزويجها !! .

وقالت فى ظبيةٍ عندها :

ياظبية ترعى بِرَوْضى دائماً   إنى حكيتك فى التوحُّش والْحَور[2]

أمسى كلاما مفرداً عن صاحبٍ   فعتابنا أبدا على حُكْمِ القدر !

(١) فى بعض النسخ : أيا روضة . وجاء فى بعض النسخ وليس يُرى جانٍ .

(٢) إن بينها وبين ظبيتها لشبها كبيراً ... فكلتاهما تشعر بالوحشة فلا أنيس يؤنسها ، ولا رفيق يسعدها . وهى أيضاً مثلها حوراء ... والحور شدة بياض العين مع شدة سوادها وجمال فى العينين .

ولا عتاب لها إلا على حكم القدر !!

[٣٠] لبابـــة بنـت علـى المهــدى

لبابة بنت على المهدى : قال ابن النجار : كانت جليلة فاضلة تزوجها الأمين بن الرشيد فقتل قبل أن يدخل بها ، فقالت ترثيه :

أبكيكَ لا لِلنَّعيمِ والأُنْسِ بَلْ لِلمعالى والرُّمحِ والفَرسِ
أبكى على فارسٍ فُجِعْتُ به أرْمَلَنى قبلَ ليلَةِ العُرسِ (١)

(١) جاء فى أعلام النساء : لبابة بنت على بن المهدى . تاريخ الطبرى . ومروج الذهب للمسعودى . وفى الكامل للمبرد : لبانة بنت موسى الهادى . وفى العقد الفريد : لبانة بنت ريطة بن على وتتمة الأبيات :

يا فارسا بالعراء مُطَّرِحا خانته قواده مع الحرس !!
من لليتامى إذا هم سغبوا وكل عان وكل محتبس ؟!
أمَّن لبِرّ أمَّنْ لفائدةٍ أمَّن لذكر الإله والغلَس ؟!

الكامل للمبرد ، أنيس الجلساء فى ديوان الخنساء والعقد الفريد لابن عبدربه – تاريخ الطبرى . مروج الذهب للمسعودى .

[٣١] مـراد شـاعرة على بن هشـــام

مراد شاعرة على بن هشام[١] .

لما قتل المأمون قالت ترثيه :

هل مُسعِدٌ لبكاى بعبرة أو دماء[٢]

وذاك منى قليل لسادتى النجباء

ذكر ذلك الأغانى[٣] .

---

(١) أحد قواد المأمون . بعث به لمحاربة « بابك » ويقول ابن قتيبة فى معارفه : وفى سنة سبع عشرة ومائتين قدم على المأمون « عجيف » بـ « على بن هشام » فقتله وأخاه .

(٢) إنها تنشد من يساعدها على البكاء بعبرة أو دعاء !! .

وترى أن هذا قليل بالنسبة لمن كان فى قمة السيادة .

(٣) وقد ورد البيت الثانى فى الأغانى هكذا :

وذا لفقْد خليل لســادة نجبــاء

[٣٢] مريـم بنت أبى يعقـوب القبضولى الشلبى

مريم بنت أبى يعقوب القبضولى الشلبى[١] .

ذكرها ابن دحية فى كتاب المطرب من أشعار أهل المغرب وقال : أديبة شاعرة جزلة مشهورة ، تعلم النساء الأدب ، وتحتشم لدينها وفضلها . وعمرت عمرا طويلا ، سكنت « أشبيلية » وشهرت بها بعد الأربعمائة .

ذكرها الحميدى وقال :

أنشدنى لها أصبغ بن سيد الإشبيلى .

وأخبر أن المهتدى[٢] بعث إليها بدنانير وكتب إليها :

مالى بِشكرِ الذى أوليت من قِبَلِ لو أننى حزت نطق الإنس والخبَلِ[٣]

(١) من أستاذات هذا العصر فى الشعر ، وكانت تغدو على بيوت أشبيلية فتعلم نساءها الشعر والأدب ولها بينهن منزلة محمودة لسمو أدبها ، وفرط حشمتها !! .

وكان عظماء البلد يجلونها ويدنونها لعراقة أثرها ، ونبالة خلقها ، وحسن بديهتها ، وكان نساء « غرناطة » أعرف بالشعر ومعانيه وصوغه وصقله من غيرهن ، وقد ذكر صاحب نفح الطيب أنهن كن يُدْعَيْن العربيات لسيرهن على سَنَن العرب فى صفاء الشعر ، وفصاحة المعانى فبدلا من أن يقال : هذه غرناطية كان يقال : هذه عربية !! .

(٢) وجاء فى أعلام النساء لما بعث « المهدى » إليها بدنانير : وفى النسخة المحققة : أن المهنّد .

(٣) الخبل بالتحريك : الجن . وفى مخطوطتنا : والخيل .. ولعلها تقصد لو أنه

يافذة الظَّرف فى هذا الزمان ويا وحيدة العَصْر فى الإخلاص والعمل
أشْبَهْتِ مريمَ العذراء فى ورَعٍ وفُقْتِ خنساءَ فى الأشعار والمثل

فكتبت إليه :

من ذا يجاريك[1] فى قول وفى عملٍ وقد بدرت إلى فضلٍ ولم تُسَلِ
مالى بشكر الذى نظّمت فى عنقى من اللآلى ، وما أوليت مِنَ قبلِ
حليتنى بُحلى أصبحت زاهيةً بها على كل أنثى من حلى عطل
لله أخلاقك الغُرّ التى سقيت ماء الفرات فرقّت رقة الغزل
أشبهتَ فى الشعر[2] من غارت بدائعه وأنجدَتْ وغَدَتْ فى أحسن المثل
من كان والده العَضْبُ المهنَّدُلم[3] يلد من النسل غير البيض والأسل

= حاز لغة الإنسان والحيوان ومنح القدرة على التعبير بكل لسان .

وقد جاء الشطر الثانى فى أعلام النساء : لو أننى حزت نطق اللسن فى الحلل .

(١) وفى مخطوطتنا : « من ذا يحاذيك ... » وفى أعلام النساء : « يجاريك » نقلا عن نفح الطيب .

(٢) وجاء هذا البيت فى أعلام النساء نقلا عن نفخ الطيب وجذوة المقتبس للحميدى ، والصلة لابن بشكوال :

« أشبهت مروان من غارت بدائعه » و « غارت وأنجدت » أى سارت فى كل مكان وتحدث بها كل لسان ، وأصبحت مثلا سائراً يردده الرائح والغادى . غارت مرت بمكان منخفض ، وأنجدت مرت بمكان مرتفع .

(٣) العضب : السيف القاطع . والمهند : السيف المطبوع من حديد الهند . والبيض : جمع أبيض : السيف اللامع . والأسل : الرماح ، والمقصود : أن الولد سر أبيه .

وكما نقول : هذا الشبل من ذاك الأسد ، ومن شابه أبه فما ظلم . وكما نقول فى أمثالنا العامية « ابن الوز عوام » .

وذكرها صاحب المغرب ، وقال : من أهل المائة الخامسة .

ذكرها الحميدى فى الجذوة ، والحجارى : فى المسهب ، ومن شعرها وقد كبرت :

ومايُرْتَجَى من بنت سبعين حَجَّةً وسبعٍ كنسج العنكبوتِ المهَلْهَل ؟

تدب دبيب الطفلِ تسعى إلى العصى وتمشى بها مشى الأسد المكبل !!

[٣٣] مُهجة بنت التَّيّانى القرطبيــة

مهجة بنت التَّيّانى القرطبية .

قال فى المغرب : من أهل المائة الخامسة . كان أبوها يبيع التين ، وكانت من أجمل نساء زمانها .

وعلقت بها ولّادة ، ومِنْ شعرها فى ولادة :

ولّادَةُ قَدْ صِرْتِ ولّادة   من غير بعلٍ فُضِحَ الكاتم
حكت لنا مريمَ لكنمـــا   نخلة هذى ..... قائم[1]

فلو سمع ابن الرومىّ هذا لأقر لها بالتقدم .

ومن شعرها :

لئن جلت عَن[2] ثغرِها كلَّ حائم   فمازال تحمى عن مطالعها الثُّغْر
فذلك تحميه القواضِبُ والقنا   وهذا حماه من لواحظِها السحر[3]

(١) فى أعلام النساء نقلا عن نفح الطيب للمقرى جاء الشطر الثانى : نخلة هذى قاتم بدلا من قائم .

(٢) وفى نفح الطيب : لئن « حلأت » : أى منعت وطردت .

(٣) كثيرون أولئك الذين يحومون حول ثغرها ، ولكنها لا تمكنهم ، وما تزال « الثغور » على الحدود هى حامية البلاد بالسيوف القواضب البتارة والقنا والرماح أمّا هى فيحميها سحر عينيها إنها تصرع المحبين بلحظها الفتاك .

وأهدى لها بعض من كان يهيم بها خوخا فكتبت إليه :

يامُتْحِفاً بالخوخ أحبابَهُ أهلاً به من مُثْلِج فى الصدور
حكى ثُدِىَّ الغيدِ تفليكُه[1] لكنه أخزى (..........)

[٣٤] نجيبة القحطانية

نجيبة القحطانية : قال ابن النجار : كانت شاعرة حسنة الشعر فصيحة .

ومن شعرها :

إذا أصبح المرءُ فى عيشةٍ من المالِ والأمن فى سِرْبِهِ
أتى عَرَضٌ جَدَّ فى موته فصاح الفنا به : سِرْ به[2]

---

(١) ثدىّ : جمع ثدى . والغيد الحسناوات الواحدة : غادة إنه يحكى فى استدارته ثدى الغيد .

وفى الطيب : يحكى ثدى بدلا من حكى . وقد أمسكنا عن ذكر بقية البيت مكان النقط .

(٢) ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال !! فبينما يكون الإنسان آمنا فى عيشة راضية يأتى أجله ليقول لكل من أهله : سِرْ به إلى القبر بعد أن يكون المرض قد جد فى موته . وذلك بعد أن أصبح آمنا فى سربه ، فسبحان الله !! هل من متعظ !! .

وما أجمل ذلك التجانس اللفظى بين الكلمتين : سِرْبه أى جماعته وأهله ، وسِرْ به : أى إلى القبر فالأولى كلمة واحدة أضيفت لضمير الواحد الغائب ، والثانية جملة فعلية مكونة من فعل أمر هو : سر وفاعله ضمير مستتر والجار والمجرور متعلق به .

[٣٥] نُضَار بنت الأمير أثير الدين بن حيان محمد بن يوسف الأندلسي

نضار بنت الأمير[١] أثير الدين بن حيان محمد بن يوسف الأندلسى . كانِت كاتبة قارئة ، تنظم الشعر ، وخرجت لنفسها جزءاً حديثيا[٢] .

وكان والدها يثنى عليها كثيرا ويقول :

ليت أخاها « حيان » كان مثلها !! .

ماتت سنة ثلاثين وسبعمائة ، ووجد عليها والدها وجداً عظيما .

وقال الصلاح الصفدى يرثيها :

بكينا باللُّجَيْن على نُضارٍ[٣] فسَيْلُ الدّمع فى الخدين جارى
فيالله جارية تولَّت نبكيها بأدمعنا الجوارِى

---

(١) وتكنى « أم العز » .
(٢) حضرت على الدمياطى . وحدثت بشىء من مروياتها وأجازها من المغرب « جعفر بن الزبير » وسمعت من شيوخ مصر وجمعت جزءاً لنفسها وقف عليه ابن حجر وقال : كثير الفوائد .
(٣) اللجين الفضة : والنضار الذهب ، وبين اللجين والنضار مطابقة جميلة . وتورية لطيفة فالمقصود الشاعرة « نضار » وبين جارية والجوارى جناس ، فالجارية الشابة الفتية ، والجوارى : السوائل (الدرر الكامنة لابن حجر - نفح الطيب للمقرى - المشتبه للذهبى - تاج العروس للزبيدى .

[٣٦] نزهون بنت القلاعى الغرناطية

زهون بنت القلاعى الغرناطية – قال فى المغرب : من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجَّارِىّ فى المسهب ، ووصفها : بخفة الروح ، وانطباع النادرة ، والحلاوة ، وحفظ الشعر ، والمعرفة بتصريف الأمثال مع جمال فائق ، وحسن رائق .

وكان الوزير أبوبكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ، ومراسلتها ، فكتب إليها مرة هذين البيتين :

يا من له ألفُ خِلٍّ   من عاشقٍ وصديقْ
أراكِ خلّيتَ لِلنَّا   سِ منزلاً فى الطريق (١)

فأجابته :

حللت أبابكر محلًّا منعتُه   سواك وهل غير الحبيب له صدرى ؟
وإن كان لى كم من حبيب فإنما   يقدِّم أهلُ الحق فضل أبى بكر (٢)

(١) يقصد أنها تركت لمحبيها أن يمدوا جسور المحبة بينهم وبينهما وفتحت قلبها للجميع وكأنما أعدت للجميع منزلا على الطريق وتتملكه الغيرة ، فلقد كان كل مايتمناه أن تكون له وحده !! .

(٢) فى هذا البيت الأخير تورية جميلة ، فالناس حقا يقدمون أبابكر الصديق على غيره لما له من سابقة فى الإسلام وهو رفيق الهجرة والغار ، ولكنها تعنى « أبابكر بن سعيد » والتورية فن من فنون البديع التى أولع بها أهل المشرق ، وقلدهم فيها المغاربة .

ولما قال فيها الأعمى المخزومى :

على وَجْهِ نَزهونَ من الحُسنِ مِسْحَةٌ ... وتحتَ الثيابِ العارُ أو كان باديا[1]

قواصد نزهونٍ توارِكُ غيرِها ... ومن قصد البحرَ استقلَّ السواقيا

قالــت[2] :

إن كان ما قلت حقاً ... من نقضِ عهدٍ كريم

فصار ذكرى ذَميماً ... يُعزَى إلىّ كلَّ لوم

وصرتُ أقبحَ شيءٍ ... فى صورة المخزوم

وقال لها بعض الثقلاء : على من أكل معك خمسمائة سوط

فقالت :

وذى شقوة لما رآنى رأى له ... تمنِّيه أن يَصْلى معى جَاحم الضرب

فقلت : كُلْها هنيئاً وإنّما ... خلقت إلى لمس المطارف والشرب

(١) جاء الشطر الثانى فى أعلام النساء :

وإن كان قد أمسى من الضوء عاريا

(٢) وفى الإحاطة سبعة أبيات غير هذه جوابا عن بيتيه أولها :

قل للوضيع مقالا ... يتلى إلى حين يحشر

حيث البداوة أمست ... فى مشيها تتبختر

والقصة فى أعلام النساء فليرجع إليها من يشاء !! .

ونظرت[١] إلى رجل عليه غضارة صفراء وهو أشقر أزرق كبير البطن ، فقالت يا أستاذ ؛ أصبحت اليوم مثل بقرة بنى إسرائيل ، ولكن لا تسر الناظرين !! .

ودخل الكندى الشاعر على المخزومى وهى تقرأ عليه ، فقالت : أجِزْ ياأستاذ[٢] :

لَو كنت تبصر من تكلمه ....

فأنعم وأطال الفكر ، فما وجد شيئا !! .

فقالت :

.... لغدوت أخرس من خلاخلـه

البدر يطلع فى أزرَّتـــه والغصن يمرح فى غلائلـــه

---

(١) هو ابن قزمان الشاعر وقد جاء ليناظرها ... فلما شبهته ببقرة بنى إسرائيل ضحك الحضور ، وثار ابن قزمان ، واندفع يسب وتدافع القوم عليه حتى طرحوه فى بركة أمام البستان الذى احتفل المجد به .

(٢) روى صاحب « المرأة العربية » أن الكندى هو الذى قال يخاطب المخزومى :

لو كنت تبصر من تجالسه ! ....

وأفحم ! . فلم يستطع أن يتمم البيت الذى بدأهُ فقالت :

نزهون : .... لغدوت أخرس من خلاخلـه

وابن مخزوم كان « أعمى » وهذه الرواية هى الأجدر بالاعتبار .

[٣٧] ولادة بنت المستكفى

ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن الناصر بن عبدالرحمن بن محمد المروانى .

كانت واحدة زمانها ، المشار إليها فى أوانها ، حسنة المحاضرة ، مشكورة المذاكرة .

كتبت بالذهب على طرازها الأيمن :

أنا – والله – أصلحُ للمعالى وأمشى مِشْيتى وأتيه تيهـاً

وكتبت على الطراز الأيسر :

أُمَكِّنُ عاشقى من صَحْن خدى وأعطى قبلة من يشتهيها [١]

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف ، وفيها خلع ابن زيدون[٢] عِذَاره ، وله فيها القصائد والمقطَّعات[٢] .

---

(١) كان ابن زيدون يحوطها بكل صون ، ويرعاها بكل حفاظ ومن ذلك قوله :

أصونك من لحظات الظنون وأُغْليك من خطرات الفكرْ
وأحذر من لحظات الرقيب وقد يستدام الهوى بالحذرْ

(٢) هو أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومى عاش صدر حياته فى أواخر العهد الأموى بالأندلس ، وعاش بقية عمره فى عصر الطوائف ؛ فلما أحاطت الفتن بقرطبه فى أخريات العهد الأموى ، كان من الزعماء الثائرين على الفساد ومن المساعدين فى تقويض السلطة الأموية ، وإقامة الحكم الجديد =

وكانت له جارية سوداء بديعة القوام ، ظهر لولادة من ابن زيدون ميل إليها فكتبت إليه :

لو كنت تُنْصِفُ فى الهوى مابيننا لم تَهْوَ جاريتى ولم تتخيَّر
وتركتَ غُصْناً مُثْمِراً بجماله وجنحت للغصن الذى لم يُثْمِرِ
ولقد عملتَ بأننى بدرُ السما لكن ولعتَ - لشقوتى - بالمشْترى

وكانت ولّادة تلقب ابن زيدون بالمسدّس وفيه تقول[٣] :

ولُقِّبت المسدَّسَ وهو نعتٌ تفارقُك الحياةُ ولا يفارق
فلوطِىٌّ ، ومأبون ، وزانٍ وديُّوث ، وقوادٌ ، وسارق

وقالت فيه أيضاً[٤]:

= الذى كان على رأسه أبوالحزم بن جَهْوَر ، هذا الحكم الذى يعد قيامه فى قرطبة الإعلام الرسمى لقيام عصر ملوك الطوائف . دراسات أدبية للدكتور أحمد هيكل . والعِذارُ الحيّاء .

(٢) أقل الشعر بيتان ... والبيتان مقطوعة ... وكذ الثلاثة إلى العشرة ... فإن زادت فهى قصيدة ... أما الملحمة فقد تصل أبياتها إلى الآلاف .

(٣) لم تكن ولادة من بائعات الهوى ولا من بنات الليل كما حاولوا أن يصوروها لكنها فى إطار وضعها الاجتماعى وهذا الملتقى بكل مايدور فيه من منافسات حارة وعواطف محتدمة وخصومات ومنافسات كل هذا ربما جرَّ ولادة إلى مجاراة ضيوفها والخوض مع الخائضين فتورطت فى الحديث الصريح عن عواطفها - على غير عادة الشواعر العربيات - وبخاصة فى المشرق - كما تورطت فى بعض الشعر الذى يدخل فى الأدب المكشوف وكان أغلبه كما يقول الدكتور هيكل يأتى فى مقام الهجاء الذى وجدت نفسها مسوقة إليه . وفى كثير من الأحيان لا يعدو أن يكون لعبة أدبية .

(٤) كان له غلام اسمه على فقالت ولادة مداعبة : هذين البيتين .

إن ابن زيدونَ له نقمة تعشق (........) السراويل
لو أبصَرَتْ (.......) على نخلةٍ صارت من الطير الأبابيل[1]

وقالت تهجو الأصبحى :

يا أصبحيُّ اهنأ فكم نعمة جاءتك من ذى العرشِ رَبِّ المِنَن
قد نلت (...) ابنك ما لم ينل (....) بوران أبوها الحسن

وقال فى المغرب :

مرّت بالوزير أبى عامر بن عبدوس[2] وأمام داره بِرْكة من كثرة الأمطار فقالت له[3] :

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحـــر

(١) وذكر البيتين صاحب أعلام النساء : وجاء الشطر الأول :
إن ابن زيدون على فضله .

(٢) كان مزاحما لابن زيدون وراح يكيد له عند ولادة ، فاضطر ابن زيدون إلى كتابة رسالة هزلية ساخرة على لسان ولادة ووجهها إلى ابن عبدوس مما أثاره وجعله ينتقم لنفسه ، فأثار عليه ولادة ، واشترك فى تأليب ابن جهور عليه حتى انتهى به ذلك إلى السجن وخلا الجو لابن عبدوس .

(٣) وقد نشر أبو عامر كميه ، ونظر فى عطفيه ، وحشر أعوانه إليه فتركته لايجد حرفا ، ولا يرد طرفا (الصلة لابن بشكوال – نفح الطيب للمقرى – تاج العروس للزبيدى) . =

قال : وكانت « ولادة » فى بنى أمية بالمغرب كـ « عُلَيَّة » فى بنى أمية بالمشرق . إلا أن هذه تزيد بمزيَّة الحسن الفائق !! .

وذكرها ابن بشكوال فى الصلة فقال :

كانت أديبة شاعرة ، جزلة القول ، حسنة الشعر ، وكانت تخالط الشعراء ، وتساجل الأدباء ، وتعرف البرعاء ، وعمَّرت طويلا ، ولم تتزوج قط .

ماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين ، وقيل سنة أربع وثمانين وأربعمائة .

وكانت قد كتبت فى طراز جعلته فى إحدى عاتقيها :

أنا والله أصلح للمعالى وأمشى مِشيتى وأتيه تيهاً

وكتبت فى الطراز الآخر :

أمكن عاشقى من صحن خدى وأمنح قُبْلتى من يشتهيها

= والبيت قاله أبو نواس فى خاتمة قصيدة مدح بها الخصيب عامل مصر (كامل) :

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر
لا تعقدا بى عن مدى أملى شيئا فما لكما به عُذْرُ
ويحق لى إذ صرت بينكما ألا يحل بساحتى فقر

وهى التى أولع بحبها أبوالوليد بن زيدون فكتبت إليه بعد طول تمنع[1] :

ترقب إذا جَنَّ الظلامُ زيارتى فإنى رأيت الليل أكتم لِلسِّرِّ
وبى منك مالو كان بالشمس لمْ تلُحْ وبالبدر لم يَطْلُع ، وبالنجم لم يَسْرِ[2]

ووفت له بما وعدت ، ولما أرادت الانصراف ودعها بهذه الأبيات[3] :

(١) أبرز شخصية فى حياة ابن زيدون الوزير العاشق – هى الشاعرة ولادة – كان أبوها أحد الخلفاء الضعاف الذين توالوا على حكم الأندلس خلال الفترة التى شهدت انهيار العهد الأموى . ومهما يكن فقد أنجب أنثى رائعة الجمال قوية الشخصية ، واسعة الثقافة عارفة بالأدب مقتدرة على قول الشعر . أضافت إلى تحرر عصرها ألوانا من التحرر فجعلت من قصرها ملتقى أدبيا يتنافس المتنافسون فيه على حبها ومحاولة كسب قلبها ... إنها الفاتنة صاحبة (الصالون) .

(٢) لقد أعجبت به ولادة كما أعجب بها ، وتحول الإعجاب بسرعة إلى حب ، وأخذ هذا الحب شكل الهيام الحار فراحت تطلب اللقيا ، وتهيىء لها الوقت والجو .

وظلت العلاقة بينهما حتى تجاوزا الثمانين . وقد مات هو سنة ٤٧٢ هـ ثم ماتت هى سنة ٤٨٤ هـ وقد قاربت المائة وتبددت ثروتها حتى كان يساعدها بعض الأصدقاء .

(٣) والذى يغلب على الظن أن ولادة كانت بعيدة عن التبذل . مصونة عن الإسفاف ، وحسبها من ذاك اللقاء ظفرها بالإعجاب والحب والتقدير ، وتنافس الجميع فى إرضائها والتغنى بها ، وقد أكد ذلك المؤرخ الثقة ابن بسَّام حيث قال : كانت « يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، إلى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها ، تخلط ذلك بعلو نِصاب ، وكرم أنساب وطهارة أثواب ، وقد تحدثت هى عن نفسها بما يؤكد هذا فقالت :

إنى وإن نَظر الأنام لبهجتى كظباء مكةَ صيدُهُنَّ حرامُ
يُحْسَبْنَ من لين الكلام فواحشاً ويَصدُّهُنَّ عن الخَنا الإسلام

وَدّعَ الصبرَ مُحِبٌّ ودَّعك ... ذائعٌ من سِرِّه ما استودعك
يقرعُ السِّنَّ على أن لم يَكُنْ ... زادَ فى تلك الخُطَا إِذْ شَيَّعَك
ياأخا البدرِ سناءً وسَناً ... حَفِظَ اللهُ زماناً أطلعك
إن يطل بعدكَ لَيلى .. فلكَمْ ... بتُّ أشكو قِصَرَ الليلِ مَعَك

وكتبت إليه[1] :

أَلَا هَلْ لنا من بَعدِ هذا التفرُّق ... سبيل ؛ فيشكو كلُّ صبٍّ بما لَقِى
وقد كنت أوقات التزاور فى الشتا ... أبيتُ على جمرٍ من الشوقِ مُحْرِقِ
فكيف وقد أمسيت فى حال قطعةٍ ... لقد عجَّلَ المقدار ماكنتُ أتَّقِى
تمرُّ الليالى لا أرى البين ينقضى ... ولا الصبرَ من رِقِّ التَّشَوُّقِ مُعْتِقِي
سقَى اللهُ أرضاً قَدْ غَدتْ لك منزلاً ... بكلِّ سكُوبٍ هاطِلِ الوَبْلِ مُغْدِقِ

(١) كانت نيران الوجد تلهب الحبيبين حتى تحتم بعض الظروف ابتعاد أحدهما عن الآخر مما جعل ولادة تكتب إليه هذه الأبيات ، ويروى البيت الأخير « الودق » بلاد من « الوبل » .

[٣٨] الشاعرة الغسانية البجانية

كذا ذكرها فى المغرب ، وقال : من أهل المائة الرابعة .

ومن شعرها قولها من أبيات :

عَهِدتهُمُ والعيش فى ظِلِّ وَصْلِهِمُ ... أنيقٌ ، وروضُ الوَصْلِ أخضر فَيْنانُ

ليالىَ سَعْدٍ لا يُخَافُ على الهوى ... عِتابٌ ولا يُخْشَى على الوصل هجران

(١) ذكر مؤلف المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها ج ٣ ص ١٤٣ ، مطبعة المعارف أنها : الشاعرة الغسانية البجانية ، وهى من شواعر المائة الرابعة وعرض البيتين المذكور ، وفى مخطوطتنا تصحيف للاسم :

« العشائية البجانية » وصحح الاسم مؤلف أعلام النساء ج ٤ ص ١٠ .

وهى من أهل بجانة : كورة عظيمة بالأندلس وتشتهر بإقليم « المرية » . نفح الطيب للمقرى - جذوة المقتبس للحميدى - الصلة لابن بشكوال .

[٣٩] عمة السُّلامى الشاعرة
وهى ابنة محمد بن محمد بن يحيى

كذا ذكره ابن النجار ، ثم روى بسنده عن الحسن بن على الجوهرى قال :

أنشدنا السُّلامى لعمته قال : وكنت ألعب فى أيام الحداثة مع بعض جوارنا ، فعضت خدى فازرق موضع العضة ، فقالت عمتى فى ذلك :

ماذا صنعت[(١)] بنا ياعاشق عبثٌ فى صحن خدٍّ يبيح الشعر وهَّاج
زرعتِ إذ عَضَّيته غَيْرَ مشفقةٍ روضَ البَنَفْسَجِ فى روضٍ من الزَّاجِ[(٣)]

---

(١) وردت الأبيات هكذا :

ماذا زرعت بنا ياعاشق عبث
فى صحن خد مليح الشعر وهاج
زرعت إذا عضيته غير مشفقة
روض البنفسج فى أرض من العاج

(٢) ولعله (مليح الشَعر) يتوهج جمالا . أصح من يبيح الشعر فليس له من معنى إلا أن جمالها يجعل أهل الشعر فى حل مما يصفونها به فهم معذورون !! .

(٣) الزاج : ملح يستعمل فى الصباغة والكلمة فارسية . والبنفسج نبات زهره سمنجونّى اللون طيب الرائحة (المنجد) .

[٤٠] المخزومية ابنة خال السلامى

المخزومية ابنة خال السلاميّ الشاعر – كذا فى تاريخ ابن النجار .

ثم روى عن أبى على التنوخى قال :

أخبرنى محمد بن عبيد السلاميّ أنه كانت له ابنة خال بغدادية مخزومية تقول الشعر .

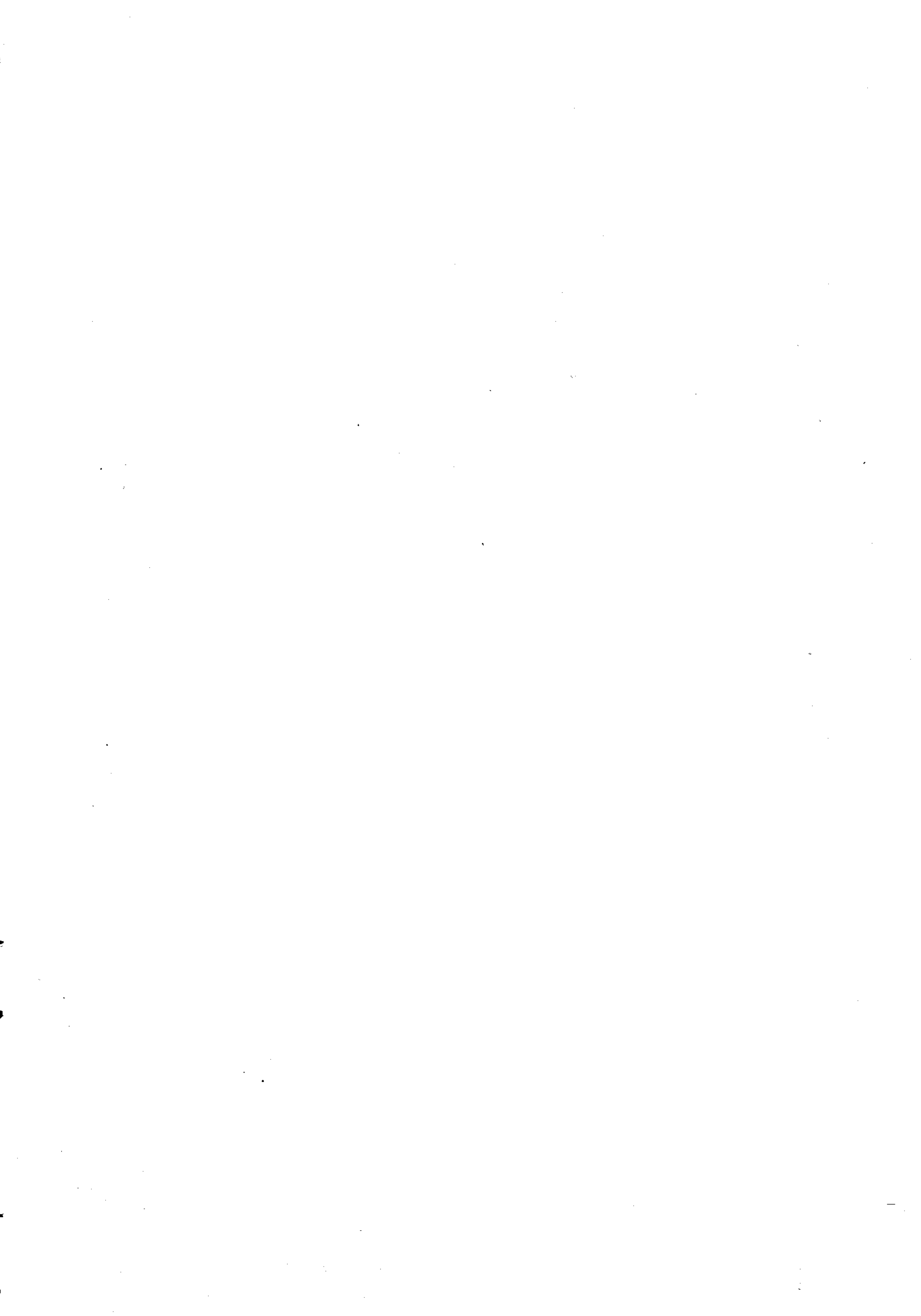
وقال : أنشدتنى لنفسها من قصيدة لها إلى سيف[1] الدولة ، وأنها توفيت سنة سبع وستين وثلثمائة :

لولا حِذارى من أُلامَ على عتابٍ يوم منه وأعتابه
لسرت والليل هودجى وذباب السيف[2] فى نحره إلى بابه

---

(١) سيف الدولة الحمدانى ، وكانت حياة الدولة الحمدانية بالشام سلسلة من النضال واتخذت حلب عاصمة لها ، ولعل من أوضح حلقاته حروب سيف الدولة الحمدانى ضد الروم تلك التى أشاد المتنبى بها وسميت « السيفيات » .

(٢) ذباب السيف : طرفه الذى يضرب به .



حـكايات ونـوادر

١ - امرأة وزوجها .

وقابلت الكمال الأوفر حكى لى شرف الدين محمد عبدالمحسن الأرمينى قال :

حكى لى بعض عدول البهنسا أن امرأة حضرت مع زوجها للطلاق فرأينا الزوج لايريد ذلك ، فكلمناها فلم تقبل .

وأنشدت :

لما غدا الأليد عهدى[1] ناقضا وأرادَ ثوب الوصلِ أن يتمزَّقا
فارقته وخلعتُ من يده يدى وتلوت لى وله ﴿وإن يتفرقا﴾[2]

٢ - المعتمد والرميكية .

وقال صاحب المغرب :

قال الحجارى فى المسهب :

ركب المعتمد بن عباد فى النهر ومعه ابن عمار وزيره وقد زردت[3] الريح النهر .

(١) فى نسخة شهيد على « لأكيد » .

(٢) اقتباس رائع جميل من الآية رقم : ١٣٠ من سورة النساء : ﴿ وإن يتفرقا يغن الله كلًّا من سعته ﴾ .

(٣) الزرد : الدِّرع المزرودة يتداخل بعضها فى بعض ، وزردت الريح النهر جعلتهُ شبيها بالدرع المزرودة .

فقال ابن عباد لابن عمار : أجز :

صنع الريح من الماء زرد ....

فأطال ابن عمار الفكرة ، وأفحم ، ولم يأت بشيء !! .

فقالت امرأة من الغاسلات :

.... **أىُّ درعٍ لقتالٍ لو جَمَدْ**

فتعجب ابن عبادٍ من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ، ونظر إليها فرأى صورة حسنة ، فأعجبته ؛ فسألها :

أذات زوج ؟ .

قالت لا .

فتزوجها ، وهى « الرُّميكية »[1] .

---

(١) مما ترويه كتب الأدب والتاريخ ما يدل على اتجاه « المعتمد » الفنان والحاكم المرهف أن ذوقه الشاعرى جعله يختار زوجة له من أجل شطرة شعر !! وهى المشهورة بالرميكية ، تلك التى أثبتت مقدرتها وتفوقها على الشاعر ابن عمار الذى أجهد الفكرة ، ولم تسعفه القريحة !!

لقد تزوجها وكانت أما لأولاده : الرشيد ، والراضى ، والمأمون ، والمؤتمن .

ولكن « عبدالجبار بن حمديس » يحدثنا عن مجالس الشعر وأسمار الأدب فيقول : « صنع لنا الشاعر(عبدالجليل بن وهبون المرسى) بأشبيلية نزاهة فى الوادى شهدها جماعة من الشعراء والأدباء والمغنين ، فأقمنا بها من بكرة إلى العشى ، وهبت ريح لطيفة النسيم صنعت فى الماء حبكا جميلا » ، فقلت عند ذلك لجماعة : أجيزوا .... :

٣ – الشافعى وجارية له .

فى الطبقات الكبرى للسبكى من طريق الربيع بن سليمان قال :

سمعت الشافعى يقول :

اشتريت جارية مرة ، وكنت أحبها فقلت لها :

= حاكت الريح من الموج زرد ....

فأجاز هذا القسم كل إنسان بما سنح خاطره ، وكان فى القوم الشاعر : أبو تمام غالب بن رباح » الغالب على اسمه « الحجام » . فلما سمع ما أتى به كل واحد منهم قال :

لم يصنعوا شيئاً !! .

ثم التفت إلىَّ وقال :

كيف قلت أنت يا أبا محمد ؟

قلت :

حاكت الريح من الماء زرد ....

فقال مجيزاً :

.... أى درع لقتال لو جمد

فلم نحفظ لأحد منهم شيئا .

ومن أهل أندلس من يثبت هذا البيت « لأبى القاسم بن عباد المعتمد » .

ولم نسمع به .

ومن هذا يتبين أن هذا البيت المنسوب للمعتمد فى قصة الجارية على شاطىء النهر ينفيه ابن حمديس .

أوَ مَا شديدٌ أن تُحِبَّ   ولا يحبك من تحبُّه ؟!

فقالت لى الجارية :

ويصدُّ عنك بوجهــه   وتُلِحُّ أنت فلا تُغِبُّه

٤ – إبراهيم بن محمد إدريس وزوجته .

وأخرج ابن أبى حاتم فى « مناقب الشافعى » و « ابن عساكر » فى « تاريخه » من طريقه قال ابن سعيد بن محمد البيروتى قاضى بيروت : حدثنا أحمد بن محمد المكى قال :

سمعت إبراهيم بن محمد بن إدريس الشافعى يقول :

كانت لى امرأة وكنت أحبها فكنت إذا رأيتها قلت :

أليس شديداً أن تحب   ولا يحبك من تحبه ؟

فتقــول هى :

ويصد عنك بوجهـــه   وتلح أنت فلا تُغِبُّــه

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب
وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم

فهـرس نزهـة الجلسـاء

الشواعر من النسـاء	الصفحة

حكايات ونوادر

رقم الايداع ٢٠٠٦/ ٨٦